٥٨٨ ١١ ٢٢

دكتور
شوقى إبراهيم على عبد الله

مواجهة لأهم أفكار دعاة العلمانية

عميد الكلية
أ.د / شوقى إبراهيم على عبد الله

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر - القاهرة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

لقد زحفت العلمانية إلى المجتمع الإسلامي وتسلطت على فكره كأداة خطيرة ، وقوة محتشدة تحملها أيدى القوى المتصارعة على السيطرة العالمية والمجتمعة على هدف أساسى هو ضرب الإسلام أولا لأنه الصخرة العاتية التى إذا تحقق النيل منها فقد انفتح الطريق أمام تلك القوى للسيطرة العالمية ولهدم الدين الحق الذى حفظه الله بحفظه تعالى لكتابه والذى ارتضاه الله ديناً عالمياً لكل البشر بما اشتمل على أسلوب للحياة وطريق للنجاة .

ومن هنا كان خطر العلمانية من حيث هى أداة وسلاح تستعمله القوى المعادية فى السيطرة على الإسلام .

تلك القوى التى تعلم علم اليقين أن أمة الإسلام هى الأمة التى أقامها القرآن .

تلك الأمة التى لا يمكن أن تخضع أو تستسلم أو تحتوى مهما بلغت شراسة عملية التغريب والحصار والإحتواء[1] .

---

(1) مجلة منار الإسلام نوفمبر ١٩٨٧ ص ٩٣

إن محاولة تقبل المفهوم العلمانى عن طريق التغريب فى البيئة الإسلامية إنما هى أخطر محاولة لضرب أكبر قواعد الإسلام . وهى قاعدة الإسلام دين ودولة (أو عقيدة وسياسة) وإحالة الإسلام إلى دين كنسى لاهوتى منفصل تماماً عن مفاهيم السياسة والاقتصاد والإجتماع التى هى أكبر مقرراته وأعظم معطياته بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

والعلمانية ترفض اعتبار الدين أساساً لحياة الجماعات البشرية أو أساساً من أسس القومية وأنها تدعو إلى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس وتنبذ كل ما تؤيده التجربة والتحرر من العقائد الغيبية[1] .

فهى لاتعترف بوجود خير آخر سوى الحياة الدنيا وهى تؤكد أن خير الحياة الدنيا هو خير حقيقى والسعى إليه هو خير أيضاً كما أنها تهدف إلى إثبات أن الحياة المادية الدنيوية يستحيل أن يكون الإنسان فيها محروماً أو فقيراً .

دور اليهود فى نشر العلمانية

إن المرء إذا ما اطلع على التراث الفكرى اليهودى المتمثل فى العهد القديم أو التلمود أو بروتوكولات حكماء صهيون يجد أن اليهود أمة الضلال والكفر منذ أن وجدوا على مسرح التاريخ فهم أساس كل البلايا التى أصابت الإنسانية وهم أيضاً وراء كل تزييف لحق بالمعتقدات الدينية الصحيحة ولا تخفى على أحد أثرهم فى تحريف الديانة الموسوية وكذلك

---

(١) سقوط العلمانية الأستاذ أنور الجندى ص ١٧

طمس الديانة النصرانية بزعامة بولس اليهودى وماقام به عبد الله بن سبأ اليهودى من إدخال عقيدة الرجعة عند بعض طوائف الشيعة فهم لا يستطيعون العيش فى ظل الأديان الصحيحة لأنها تتعارض ورغباتهم المادية الصرفة من أجل ذلك كان دأبهم طمس معالم الأديان الصحيحة ولما كان الإسلام هو الدين الحق الذى لا يقبل أى دخيل استغلوا فرصة بعد أتباعه عنه بانغماسهم وجريهم وراء الحضارة الغربية المادية كان ذلك من أعظم الفرص لليهود أن ينشروا سمومهم خارج الوطن المسلم ثم يصدرونه فيما بعد على أنه وافد حضارى قدم إلى المسلمين من العالم المتمدين .

وتجرى اليوم محاولات معلومة المصدر والأهداف يحملها رجال اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة يقصد بتلك المحاولات صرف الناس عن الجادة وإبعادهم عن الحق بغير دليل أو حجة وبغير حياء ويثيرون شبهات حول الحل الإسلامى وهى فى حقيقة الأمر شبهات لاوزن لها ولا تقوم على ساقين ، ولكنهم من طول ماردودها أو رددها عليهم أساتذتهم وموجهوهم صدقوها أو أوهموا الناس أنهم مصدقون لها وإن كانوا فى قرارة أنفسهم مؤمنين بتفاهتها[1] .

والإسلام يتصدى لها بشموخه وبرهانه وحجته ويكر عليها فاضحاً ومبصراً ومفنداً .

وهذه الدراسة تعطى أضواء على العلمانية من حيث بيان مفهومها وصورها والبيئة النصرانية التى فرختها ثم ردود ومناقشات على أهم أوهام العلمانيين حول الرسالة والمنهج حتى لا ينخدع أحد ببهرج هذه الأوهام .

وقد عرضت لمواجهة الإسلام للعلمانية فى جانب العقيدة وتناولته

---

(١) د / يوسف القرضاوى بينات الحل الإسلامى ص ٧

فيه مناقشة أهم النقاط التى أدت إلى ظهور العلمانية فى المسيحية فشرحت أنه لا كهنوت فى الإسلام والإسلام دين ودولة ورددت على أهم الشبهات التى يثيرها فصائل العلمانيين وقد سلكت فيها مسلك الموضوعية وحسبى الحق والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

١٣ شعبان ١٤١٢ هـ

١٧ فبراير ١٩٩٢ م

دكتور / شوقى ابراهيم على عبدالله
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين القاهرة

تمهيـــد :

ما هى العلمـــانية

العلمانية مصطلح أوربى صيغ حديثاً فى الفكر الغربى ثم انتقل إلى اللغة العربية حديثاً .

وإذا كان مصطلح العلمانية قد صيغ حديثاً كنظرية فلسفية متبلورة فإن هذا لا يمنع أن يكون لها جذور قديمة كما سنرى بعد.

والعلمانية مشتقة من العلم بمعنى العالم أو الدنيا والعلمانية بفتح العين نسبة غير صحيحة إلى العالم وقد ينحرف البعض فى فهمها بجعلها نسبة إلى العلم وهو خطأ معذور ذلك لأن مفهوم العلمانية بنسبتها إلى العالم أى إلى عالم هذه الحياة الدنيا يعنى توجيه الإهتمام إلى ما يتعلق بالحياة الدنيـــا واسقاط الإهتمام بالحياة الآخرة وبعبارة أشمل وأدق .

تعنى أما بجرد استبعاد الدين من توجيه شئون الحياة الدنيا فى السياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والتربية بأن يترك له دائرة الوجدان المحصور فى ساحة العبادة — وهذا هو المفهوم السائد فى أوربا الغربية والبلاد التى ترفع شعار الديمقراطية الرأسمالية — وإما أنها تعنى إسقاط الدين بالكلية واعتباره أفيوناً للشعوب يخدرها عن الإهتمام بحياتها التى لا حياة بعدها أو إعتباره أيديولوجية مصطنعة تنسجها الطبقة الحاكمة لمصالحها الإقتصادية الخاصة وهذا هو المفهوم السائد فى أوربا الشرقية والبلاد التى ترفع شعار الشيوعية أو تدعو إليها[1] .

والمراد بالعلمانى فى الفكر الأوربى (العلمانى يعنى الدنيوى أو اللاديني

---

(١) د/يحيى هاشم حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب ص ٧

وأشهر معانيه الآن الأشياء الدنيوية المتمايزة عن الأشياء الروحية — غير العقدية[1] .

ويرى ما ندن :

أنها ليست من الأشياء المتعرضة للناحية الدينية أو المخصصة لها سواء كانت دراماً أو موسيقى — أى أنها تعنى فصل كل ما هو دينى عن كل ما هو مدنى .

ويرى لويس ورث : أن العلمانى هو الذى ينبذ الإيمان المطلق ويعبر عنه بالنظرة العلمانية للإنسان الحديث بمعنى الحياة فى العالم وليس فى دير أو فى مجتمع دينى مع عدم الإرتباط بالآراء الإكليركية اللاهوتية وبحيث تكون أفكاره متعارضة تماماً لأفكار الناسك أو الراهب .

وتوضح دائرة المعارف البريطانية المراد بالعلمانية فتقول : [هى حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الإهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بالحياة الدنيا وحدها[2] وذلك أنه كان لدى الناس فى العصور الوسطى رغبة شديدة فى العزوف عن الدنيا والتأمل فى الله واليوم الآخر ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت (العلمانية) ... تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس فى عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق طموحاتهم فى هذه الحياة القريبة .

---

(١) معجم ويبستر ترجمة د / السيد فرج نقلا عن كتاب جذور العلمانية تأليف الدكتور السيد فرج ص ١٠٢ — ١٠٣ — ١٠٤ ط ١٩٧٨

(٢) د/ على جريشة الإتجاهات الفكرية ص ٨٤

وظل الإتجاه إلى [العلمانية... يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية[١].

والعلمنة اشتملت على مفهوم فلسفي ينص على استقلالية العقل ومقدرته وهذا المفهوم — لا يمكنه... أن يعمل إلا على حساب المسيحية.

يقول فيفياني في العام ١٩٠٦م تعلقنا في الماضي بمهمة اللادينية فانتزعنا الضمير البشري من الإيمان.

ويقول فردي عن العلمانية هي (تنظيم البشرية من دون إله).

ويقول ف. بيسون [نزع الوطن والعائلات والأفراد من الكنيسة][٢] على ضوء ما ذكرنا نستطيع تعريف العلمانية بأنها (مذهب بشري محض يهتم بشئون العالم الدنيوي المادي والفكري من أجل المنفعة الدنيوية العاجلة معتمداً على عقل الإنسان فاصل فصلا تاماً بين هذا العالم وبين كل ما يتعلق بالدين سواء حارب الدين للقضاء عليه أم هادنه.

والعلمانية بكسر العين نسبة إلى العلم وهذا هو الأشهر ومن ينطقونها بالفتح العلمانية، نسبة إلى «العلم» بفتح فسكون بمعنى [العالم] أي الدنيا وعلية جرى المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية.

والكلمة — على كل حال كسرت عينها أو فتحت مترجمه عن اللغات

---

(١) دائرة المعارف البريطانية نقلا عن الأستاذ محمد قطب مذاهب فكرية معاصرة ص٤٤٥ ط ١٩٨٣م

(٢) من الفكر الحر إلى العلمنة تأليف لـ صفر دونوروا البيير بايسه ترجمة د/ عاطف علي — دار الطليعة بيروت ط أولى سنة ١٩٨٦ م ص٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩

الأوربية وكان يمكن أن تترجم بلفظة لا دينية ولأن معنى الكلمة الأجنبية ماليس بديني وكل ما ليس بديني هو لا ديني ولكن اختيرت كلمة علماني أو مدني ، لأنهما أقل إثارة من كلمة لا ديني ويرجح الدكتور عبد العظيم المطعني أن تكون العلمانية نسبة إلى العلم على غير قياس فعينها مكسورة لامفتوحة والعلم المنسوبة هي إليه هو العلم العملي الذي موضوعه : المادة المحسوسة جماداً كانت أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً ووسائله هي : الحواس الخمس وطرق تحصيله هي :التجارب العلمية والملاحظات أو هو العلم المادي الذي يدرس — في فروعه المختلفة — خواص المادة وتركيباتها والعلاقات بين عناصرها والقوانين التي تحكم تفاعلاتها والتغيرات التي تطرأ عليها باختلاف الظروف التي تقع تحت تأثيراتها فالعلمانية -إذن- منسوبة إلى شعبة خاصة من شعب العلوم لا إلى مطلق العلم ويقابلها شعبتان من شعب العلوم : إحداهما العلم الديني الذي يستفاد من الوحي الأمين وأقوال الرسل والأنبياء التي تفيد اليقين أو مايقرب منه ثم الحقائق المستنبطة منها ومن الوحي الأمين .

أما الشعبة الأخرى في العلم أو المعرفة المستفادة من النظر العقلي المجرد عن طريق التأمل في الأشياء وليس بين العلمانية وبين هاتين الشعبتين صلة فقط بل أن العلاقة بينهما وبينها هي التدافع[1].

(١) د. عبد العظيم المطعني العلمانية ص ٧ ، ٨

الجذور التاريخية للفكر العلمانى

للفكر العلمانى بذور تاريخية ضاربة فى القدم ففى القرن الخامس قبل الميلاد ظهرت بواكير هذا الفكر إذ ذهب الفيلسوف الأغريقى بروتاجوراس (١٤٨٠ ق ١٤١٠ق) إلى القول بأن مصدر المعرفة الحقيقية هو الحواس الخمس وأن مالا يقع تحت دائرة الحواس فهو وهم وليس له وجود خارج الذهن(١) .

وبالتأمل فى تاريخ الغرب الفكرى . والتعمق فيه يكشفان لنا أن هذه النظرة العلمانية التى ظهرت بوضوح وجلاء فى القرن السابع عشر الميلادى ما هى إلا مرحلة عالية من نظرة عامة للحياة متأصلة وعميقة الجذور فى نفس الإنسان الغربى منذ بدايات وعيه بذاته أى منذ بداية الحضارة اليونية ، إذ إن المتتبع للفن اليونانى المختلط بالأساطير والعقائد اليونانية سرعان ماتتبدى أمام عينيه هذه النظرة العلمانية بوضوح وجلاء إذ إن ملحمتى الشاعر اليونانى القديم [هوميروس](٢) الإلياذة و [الأوديسة]تظهران ماتنطوى عليه هذه النفس الغربية من صراع أصيل وعميق بين الإنسان والآلهة فما [الأوديسة] إلا صراع طويل ومرير بين البطل أو ريسيوس(وهو الإنسان)والإله نبتون(إله البحر)هذا الصراع الذى ينهيه صاحب الأسطورة بهزيمة الإله وبانتصار الإنسان .

ونجد هذا الصراع متأصلا أيضاً فى الفلسفة اليونانية إذ بينما جعل أرسطو إلا له قابعاً فى مكانه قاصراً كل عمله على عملية خلق العالم فقط دون مد هذا العالم بعنايته ورعايته وتنظيمه الدائم بينما جعل أرسطو الهه

---

(١) الفلسفة الإغريقية د/محمد غلاب .

(٢) هوميروس شاعر يونانى فى القرن السادس ق م

هكذا نجد المدرسة الرواقية[1] تنزل الإله عن عرشه وتدمجه في الطبيعة ولا تجعل له وجوداً خارج هذه الطبيعة أما المدرسة الأبيقورية[2] .

فبالرغم من أن مؤسسها أبيقور يعتقد بوجود الآلهة فإنه لايرى أن هناك مبرراً لا جلالها والخوف منها ومن الموت إذ إنه ليس هناك حياة بعد الموت بسبب عدم اهتمام الآلهة بها[3] .

ومن الجدير بالذكر أن بالهند مذهباً عرف باسم السمنية كان ينكر وجود الله ويروى عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن نفراً من السمنية ناظروا جهم بن صفوان في وجود الله فانتصر عليهم جهم وأبطل مذهبهم وكانوا قد قالوا لجهم :

نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك فوافق جهم فأخذوا يحاورونه على الوجه الآتي :

قالوا: ألست تزعم أن لك إلاهاً ؟ قال : بلى. قالوا هل رأيت إلاهك؟ قال : لا. قالوا : هل سمعت كلامه قال : لا قالوا : هل وجدت له حساً أو بحساً قال : لا. قالوا هل شممت له رائحة ؟ قال : لا. قالوا : فما يدريك أنه إلاه ؟ .

قال لهم جهم :

ألستم تزعمون أن فيكم روحاً ؟ قالوا : بلى . قال هل رأيتم روحكم؟

---

(١) المدرسة الرواقية أسسها الفيلسوف زينون ولد عام ٣٣٤ ق م وتوفى عام ٢٦٢ ق م

(٢) نسبة للفيلسوف اليونانى أبيقور ولد عام ٣٤١ ق م .

(٣) العلمانية النشأة والأثر زكريا فايد ص ٧٠

قالوا لا: قال: هل سمعتم كلامه؟ قالوا : لا:قال : هل شممتم له رائحة؟ قالوا لاقال : هل وجدتم له حساً أو مجساً ؟ قالوا : لا: ثم قال لهم:

فكذلك الله لايرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان وجهم هذا توفى عام ١٢٨ ﻫ .

ومعنى هذا أن المذهب كان له وجود في الهند منذ القرن الثامن الميلادى ثم عرف فيما بعد بالمذهب الطبيعى ، وتفرق فى عدة فرق منهم الباطنية .

الباب الأول

ظروف نشأة العلمانية فى أوربا

الفصل الأول

نصرانية البابوات بيئة تفرخ العلمانية

لقد عاشت أوربا ظروفا دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية سيئة فى القرون الوسطى فلما أطل عصر النهضة كان الإفراز فى مجال المبادىء أسوأ بغض النظر عن الحضارة المادية التى قد تبدو لأول وهلة نصر ونحن نعرض إلى هذه الظروف لنصل إلى نشأة العلمانية .

١ — : الظروف الدينية

الانحراف فى اعتقاد وحدانية الله سبحانه وتعالى فى ذاته وصفاته ويتمثل ذلك الانحراف فى القول بالتثليث الذى يعنى إن الله عبارة عن ثلاثة أشخاص كل منهم إله ومع ذلك هم إله واحد[1] .

ولاشك أن التثليث كما يصوره اللاهوت النصرانى وكما تلاحظه أنت شىء لايمكن أن يعرفه ولا أن يسبر غوره العقل المخلوق وليس ذلك لأن فيه شيئا من الحقيقة بل لأنه ليس فيه شعاع من الحقيقة ففيه الوهية كل من المسيح والروح القدس وهذا مستحيل وفيه بنوة المسيح لله والله لم يلد

(١) أى فى الخطيئة .

ولم يولد وفيه أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة كما هو مدون فى عباراتهم نفسها وهذا لايمكن أن يقبله إلا عقل أغلق منافذة دون شعاع الفكر الحق والاعتقاد الحق.

ولما كان التثليث لا مستند له من نقل ولاعقل ولا واقع اضطرب فيه القوم وهبطت قيمة الألوهية فى الاعتقاد الكنسى إلى درجة فقدت فيها كل جلالها وبهائها.

أى عقل سوى يقبل هذا الهراء؟ وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال العقيدة الإسلامية عبر الأندلس وجزر البحر الأبيض، وكيف يمكن للعقول تقبل ذلك بعد انتقال المذهب التجريبى فى المجال العلمى نقلا عن علماء المسلمين.

القرآن يدحض وينذر:

وقد وقف القرآن موقفاً حاسماً من فكرة التألية البشرى ومن خرافة التثليث وأقام أوضح الأدلة على وحدانية الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك وإليك بعضا مما قال: دليل نفى التعدد والشريك.

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[1].

---

(١) المؤمنون آية ٩١ وحرف الجر (من) الداخلة على «ولد» وعلى «إله» لاستغراق النفى وعمومه: أى ما اتخذ الله قط من ولد أيا كان أو الاتخاذ من جنس البشر أو من غيره اتخاذاً حقيقياً أو مجازياً وأصل الكلام: ما اتخذ الله ولداً وما كان معه إله فدخلت من على المفعول لإفادة شمول النفى.

فى الآية الكريمة دعوى ودليل صدقها :

الدعوى : نفى الولد والشريك عن الله .

ودليلها : أحكام النظام فى الكون وجريه على سنن لم يتخلف : السماء فوق والأرض تحت والأفلاك تسير ولم يقع خلل فى ملكه سبحانه — ولو كان معه شريك ولد أو غير ولد لاختل نظام الكون واستبد كل شريك بحصته شأن كل الشركاء . فهذه الدعوى صادقة كل الصدق يدرك صدقها العالم والجاهل ومن أدلة التوحيد قوله تعالى : « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[1].

تعدد الآلهة كما تصور هذه الآية يترتب عليه فساد السموات والأرض والقرآن يتخذ من عدم فسادهما دليلا على نفى التعدد وثبوت التوحيد ، وهذا الدليل خطابى برهانى معاً[2] .

فهو خطابى لأنه يلفت نظر الناس جميعاً إلى حقيقة كونية مشاهدة وهى أحكام نظام الكون وسيره بتدبير الله دون أن يحدث فيه خلل أو فساد وهذه الحقيقة يستوى الناس جميعاً — حسب الفطرة — فى إدراكها دون أعمال للعقل وترتيب النتائج على مقدماتها بعد سلامة المقدمات وصحتها وهو دليل برهانى مقنع فى وضوح ومقدماته صحيحة وصحتها مطردة حتى فى الواقع الحياتى للناس .

فلم نرى دولة من الدول ولا نظام من النظم يتولاه رئيسان متساويان فى السلطة والإدارة ولو حدث هذا — أعنى تعدد الرؤساء فى البلد

---

(١) الأنبياء آية ٢٠ — ٢١

(٢) انظر : المسامرة بشرح المسايرة لابن شرف القدس ص ٤٤ تحقيق الشيخ محمد محى عبد الحميد .

الواحد — لترتب على ذلك الشقاق والنزاع والتدمير حين تتعارض الرغبات وتختلف المقاصد .

وكذلك نظام الكون لو تعددت فيه الآلهة لاختل وفسد وعدم فساده هو المشاهد ويترتب على هذا نفى للتعدد وبالتالى يثبت التوحيد بكل معانيه توحيد فى الذات وتوحيد فى الصفات وتوحيد فى الأفعال فالله واحد أحد فرد صمد لاصاحبة له ولاشريك ولاولد .

ولما كانت عقيدة التثليث بهذه المثابة من القبح والشناعة فإن القرآن الكريم يقضى فى القائلين قضاءه الذى لايرد فبعد أن أقام أدلة التوحيد وشنع على فرية القائلين بأن لله — سبحانه — صاحبة وولداً توجه إلى قائليها بهذا النهى القاطع عساهم يثوبون إلى صوابهم .

(يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا »[1].

فإذا استمر الذين قالوا بالتثليث ولم ينتهوا فيكون الإنتهاء خيراً لهم فإن الحكم العادل فيهم : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » . « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد

(١) سورة النساء آية ١٧١

خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون »[١] .

(فكرة الصلب والصليب والخطيئة الموروثة):

اعتقدت الكنيسة أن المسيح عليه السلام قد صلب ومات ثم قام بعد موته ويفلسفون واقعة الصلب بأنه كفارة لبنى الإنسان عن الخطيئة الموروثة التى ورثها بنو آدم عن أبيهم آدم الذى خالف أمر ربه وأكل من الشجرة المحرمة « شجرة المعرفة » إن من صفات الله العدل والرحمة وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها .

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيآت البشر ولم يكن من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلماً ليكفر عن خطيئة البشر[٢] .

وفى هذا النص الذى لا يصمد أمام الانتقاد عدة تصورات : أن أبا البشر آدم حين أخطأ ظلت خطيئته فى عنقه وفى أعناق ذريته إلى أن وقع التكفير بصلب المسيح فعلا .

إن المسيح عليه السلام قد صلب فعلا وهو ابن الله .

إن الله قدم ابنه الوحيد (سبحانه) للصلب محبة منه لعباده وليكفر عنهم خطيئتهم الموروثة .

---

(١) المائدة ٧٢ — ٧٥

(٢) يسوع المسيح للأب بولس نقلا عن د/ على جريشة الاتجاهات الفكرية ص ٦٢ ط دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٩٨٦ م

موقف الإسلام من هذه التصورات :

خطيئة آدم :

لا نزاع أن آدم عليه السلام قد وقع منه ما أخذه الله عليه وعده فقد جاء بهذا صريح القرآن فى أكثر من موضع .

فقد صدر أمر لآدم وحواء من الله تعالى بالنهى عن الأكل من الشجرة التى عينها وحددها لها عن طريق الاشارة الحسية الواضحة « ... لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »[١] .

ثم أحتال الشيطان فزين لهما الأكل منها ويحكى القرآن طريقة هذا التزيين فيقول : فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى[٢] .

وإنطلقت هذه الحيلة على آدم فوقع فى المحظور :

فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى[٣] .

حقيقة هذه المعصية :

هذه هى معصية آدم عليه السلام والمعاصى أنماط ودرجات فليست هى على درجة واحدة ولكنها متفاوتة منها الصغيرة ومنها الكبيرة ومنها

---

(١) البقرة آية ٣٥
(٢) سورة طه آية ١٢٠
(٣) « طه ١٢١

ما يقع عن قصد ووعى تام وتعمد وعزم ومنها ما يقع على سبيل السهو والنسيان ومنها ما يقع عن طريق الإكراه أو التأويل فمن أى نوع كانت معصية آدم عليه السلام ؟

يجيب على هذا السؤال القرآن بفسه :

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما »[1] .

وبهذا حدد القرآن الكريم نوع معصية آدم ربه تحديداً دقيقاً كل الدقة أنها معصية وقعت بسبب النسيان والسهو والغفلة .

فليست هى مقصودة قصداً متعمدة تعمدا : أن آدم نسى عهد ربه فأكل من الشجرة المحرمة ولو كان على ذكر : لقاوم إغراء الشيطان .

إذن معصية آدم كانت محصورة فى النسيان : وهذا يشفع : أو هو كان شفيعا بالفعل له عند ربه .

معصية ليست مؤبدة :

ومع هذا فإن تلك المعصية لم تتأبد على آدم بل لم تصاحبه حين أنجب باكورة بنيه فقد غفرها الله له وتاب عليه وهداه وبرأه منها يمنه وفضله وقد صرح القرآن بذلك « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .

اجتباه أختاره وإصطفاه وتاب عليه غفر له وعفا عنه وهداه أرشده ووفقه للعمل الصالح فيما يستقبل من حياته ولهذا لم يتحدث القرآن عن آية معصية وقعت من آدم بعد هبوطه إلى الأرض وبعد أن اجتباه ربه وتاب عليه وهداه .

---

(١) طه ١١٥

وحين أنجب آدم كان طاهراً مطهراً متوبا عليه مهديا للعمل الصالح إذا كان آدم قد أخطأ فقد عوقب بالطرد من الجنة وهى ليست بالعقوبة الهينة : إن صح إعتبار خروجه من الجنة عقابا له وهو ليس كذلك. وإذا كان قد عوقب فلم تعاقب ذريته .

أى عدل فى ذلك وهم لم يجنوا تلك المعصية ولا كانوا موجودين ساعة وقوعها وإنما كانوا ذرية من بعده .

ثم إذا كانت ذريته فرضا جدليا مخطئون كذلك فما ذنب عيسى عليه السلام وهو النبى الذى لم يخطىء أهذا عدل الإله ؟

إن الله أنزل فى كتابه « وأن لا تزروا وازة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »[١] . كل نفس بما كسبت رهينة »[٢] . « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد »[٣] .

فهذه الآيات تدل على مبادىء تشريعية محددة وتحسم كل خلاف حول أصول التكليف والمسئولية فالذى يعمل صالحا فثمرة عمله له هو دون غيره .

والذى يقترف اثما أو جريمة فعلى عاتقه هو تقع المسئولية فلن تفيد طاعة امرىء شخصا آخر عاصيا ولن يسأل برىء عن ذنب عاص أم مجرم « تلك أمه قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »[٤] .

---

(١) سورة النجم آية ٣٨ — ٣٩
(٢) « المدثر آية ٣٨
(٣) « فصلت ٤٦
(٤) « البقرة ١٤١

هذا هو العدل والحق والانصاف وهذا المبدأ الإسلامى العادل هو الذى تأخذ به كل نظم العالم مسلمين وغــير مسلمين فإذا أجرم أب فلا يعاقب معه بنوه . وبهذا تقضى كل محاكم العالم وتطلق نظم العالم وقوانينه على إختلاف منازعها وأصولها على هذا المبدأ الإسلامى مصطلح شخصية العقوبة « أى عقاب الشخص الذى يخطىء وعدم إمتداد الخطأ إلى أحد غيره أن الله هو العدل « الذى أنزل « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »[1] . لم يكن ليجازى عيسى عن ذنوب البشر أن هذا عين الظلم .

وثمة خطر آخر أن البشر إذا أحسوا أن عيسى قد افتدى أخطاءهم بأن رضى بالصلب فلهم أن يفعلوا ما يشاءون وأن يعيشوا فى الأرض فسادا فعيسى يحمل عنهم أوزارهم ألا ساء ما يحكمون . وأيضاً « إذا كان عيسى ابن الله وقد رضى الله بصلبه فإن الأمر لا يعدو أحد احتمالين أما أن يكون قد رضى ذلك — عن قدرة — فيكون بذلك إلها ظالما إذ يحمل بريئا أوزار المذنبين .

وأما أنه رضى بذلك — عن عجز — فيكون إلها عاجزا لا يصح له أو يتولى « منصب » الألوهية بتعبير النصارى تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .

وعقيدة الخطيئة الموروثة كانت أكبر معول هدم فى صرح الكنيسة أبان عصر التنوير فى أوروبا (النصف الثانى من القرن الثامن عشر) . وصار منفذا واسعاً الطعن فى سلطان الكنيسة والتمرد عليها وإنصراف الناس عنها .

وما أكثر الذين علقوا على هذه العقيدة تعليقات لاذعة وصادقة كل

---

(١) سورة النساء ٥٨

الصدق ومن هؤلاء فولتير الفرنسي الذى كان يعتـــبر عقيدة الخطيئة الموروثة : إهانة لله وإتهاما له بالبربرية والتناقض ويتساءل : كيف يعاقب الله أجيالا أبرياء لأن أباهم الأول كان قد أكل فاكهة من حديقة[١].

ولم تستطع الكنيسة أن تواجه خصومها من أبناء الملة التى أدعت حق احتكارها وتفسير أسرارها فجنت على نفسها لما استضاء الناس بنور العلم واستبصروا معالم الطريق وأعملوا عقولهم فيما بين أيديهم من معارف وعقائد وسلوكيات .

وصفوة القول فى هـذه الفكرة : أن قبل القول بالخطيئة الموروثة لم تكن فى الوجود خطيئة موروثة وأن بعـــد القول بالخطيئة الموروثة وقعت فعلا خطيئة موروثة ولكنها خطيئة من نوع آخر لم يخطئها آدم وإنما أخطأها بعض بنية فهم يتوارثونها جيلا عن جيل وهـذه الخطيئه الموروثة الجديدة هى بدعة القول بالخطيئة الموروثة .

غفران الذنوب :

فى عام ١٢١٥م صدر عن مجمع روما قراراً خطيراً يعطى البابا حق غفران الذنوب استناداً — فيما نظن — إلى نص محرف ينسب إلى المسيح عليه السلام قوله إلى بطرس : وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحلله على الأرض يكون محلولا فى السموات[٢] :

(١) العلمانية د/ نصر عبدالرحمن الحوالى — مكة المكرمة
(٢) انجيل متى الاصحاح ١٦ ، ١٩ — ٢٠

ويرد بعد هذا النص نص آخر يشكك فى صحة الأول اذ ينسب إلى المسيح قوله لبطرس : فالتفت وقال لبطرس اذهب عنى ياشيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله[1] .

فكيف يعطى المسيح الى شيطان مفاتيح ملكوت السموات ؟ وهل يملك المسيح نفسه هذه المفاتيح ؟ « قل من يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »[2] .

والغفران لا يتم الا بطقوس :

منها : الجلوس على كرسى الاعتراف للادلاء أمام القسيس أو من يعلوه باعترفات بلا تفرقة بين ذكر أو أنثى وبلا اشتراط لانعدام الخلوة فى حالة الأنثى والكنيسة جعلت هذا الاعتراف مقدمة لمنح المعترف البراءة والتطهير مقابل مقدار من المال يقدمه المخطىء لكنيسته فاذا كان طالب الغفران فقيرا فعليه أن يخدم الكنيسه أو يجند فى جيشها ليدافع عنها .

ولما كان الاعتراف موردا من موارد مالية الكنيسة فقد قررت أن يعترف الخطاة كل عام مرة بدلا من الاعتراف مرة واحدة فى العمر .

وبذلك وضعت الكنيسة نفسها موضع الوسيط بين الخطاة والخالق

---

(١) انجيل متى الاصحاح ١٦ من ٢٣ — ٢٤
(٢) المائدة آية ١٧ — ١٨

فالطريق الى الله مسدود أمام عامة الناس ولا يملك أحد أن يفتحه إلا الكاهن .

وكانت هـذه الوسيلة سببا بارزا فى ثراء الكنيسه ورجال الدين ويصور ديورانت هذا الثراء فيقول : وإذا كانت ممتلكات الكنيسة مالا يجوز انتقاله الى غيرها فقد أخذت هذة الممتلكات تنمو على مر القرون لدرجة أن تملك كنيسة واحدة أو دير للرجال والنساء عدة آلاف من الضياع تشمل فيما تشمله اثنى عشرة بلدة بل تشمل أحيانا مدينة كبرى أو مدينتين[1] .

وكذلك جاءت الى البابوات أموال طائلة ممن ينالون صكوك الغفران البابوية ... وقد حسب دخل الكرسى البابوى عام ١٣٥٠م فكان أكثر من دخل رؤساء الدول الأوروبية مجتمعين[2] .

هكذا اتخذت صكوك الغفران شكل التجارة فى بعض الفترات كما شكلت مصدرا للاثراء غير المشروع لرجال الدين الكنيسى ويجرى الصك على النحو التالى : ربنا يسوع المسيح يرحمك يا . . (يذكر اسم الطالب المغفرة) ويحلك باستحقاق آلامه الكلية القدسية وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنيسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى وأمحو جميع أقذار الذنوب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرص وأرفع القصاصات التى تلزم

---

(١) قصة الحضارة مجلد ٤ — ص ٦٩ — ٧٠ ول ديورانت

(٢) المرجع السابق مجلد ٥ ص ٧٢

بمكابدتها فى المطهر وأردك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين أردك ثانية إلى الطهارة والبر الذين كانا عندمعموديتك حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الروح وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه نعمة تبقة غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس .

وقد ترتب على منح صكوك الغفران فساد كبير فان الحاصلين عليها وقد ضمنت لهم الجنة تحللوا من الفضائل ولم يتورعوا عن ارتكاب أية جريمة أو رذيلة ولو كان ذلك كفرا بالله وشركا بالمسيح وقد دعاهم الى ذلك قصور فى صياغة الصك اذ جعلته الكنيسة براءة خالدة تمحوا ما تقدم وما تأخر من الذنوب ولو كانت الكنيسه قد قصرت أثره — الوهمى بالطبع — على ما مضى دونما يستقبل لكانت أسهمت فى تحقيق شيء من الاصلاح ولكن لم يكن فى حسابها وإنما الذى كان فى حسابها هو جمع المال بأى ثمن لذلك أطلقت أثر الصك ولم يقيد بالماضى حتى لا تقلل من قيمته عند طالبيه وقد كان مبدأ أو حق الغفران والاعتراف وصمة فى جبين الكنيسة أخـــذت مكانها بوضوح الى جانب كثير من الوصمات .

ومنها : اصدار قرارات الحرمان : اذ من يملك المغفرة يملك الطرد من رحمه الله بقرار من الملائكة وحكم القديسين نحرم ونلعن ونصب دعاءنا على (سبينوزا) بموافقة الطائفة المقدسة كلها وفى وجود الكتب المقدسة ذات المائة والثلاثة عشر ناموسا المكتوبة بها نصب عليه اللعنة وجميع اللعنات المدونة فى سفر الشريعة وليكن مغضوبا وملعونا نهارا وليلا وفى نومه وصبحه ملعونا فى ذهابه وإيابه وخروجه ودخوله نرجو

الله أن لا يشمله بعفوه أبدا وأن ينزل عليه غضب الله وسخطه دائما ويحمله جميع اللعنات المدونة فى سفر الشريعة ونسأل الله أن يخلص أولى الطاعة منكم وينقذهم وأن لا يتحدث معه أحد أو يكلمه أو يتصل به كتابة وأن لا يقدم له أحد مساعدة أو معروفا وأن لا يعيش معه أحد تحت سقف واحد وأن لا يقترب أحد منه على مسافة أربع أذرع وأن لا يقرأ أحد شيئا جرى به قلمه أو ملاه لسانه(١) .

وقد مارست الكنيسة حق الحرمان على شكلين :

١ — شكل فردى حيث كانت تصدر أحكاما عقابية رادعة على الأفراد المهرطقين الخارجين عن سلطانها إما بالاعـــدام أو اللعنة والطرد من ملكوت السموات مثلما حدث مع بعض العلماء كجاليليو ونيوتن ومع غيرهما .

٢ — شكل جماعى حيث كانت الكنيسة تعاقب الجماعات بل الشعوب بما تراه من عقوبات كما حدث للشعب الانجليزى حين اختلف يوحنا مع البابا فأصدر قرارا بحرمان شعب انجلترا كله فعطلت الكنائس وعقود الزواج والصلاة على الموتى وكان الموتى يحملون الى قبورهم بغير صلاة وهكذا وفى هذا الاطار أنشأت محاكم التفتيش التى كان يحاكم فيها كل من تحوم حوله الشبهات ويؤخذ بالظنة فيعدم أو يحرق بلا رحمة ولا شفقة .

---

(١) هذا صك حرمان أحد الفلاسفة المسمى اسبينوزا الذى خرج من تطبيقه المنهج العقلى على الكتاب المقدس الى أنه ليس وحيا وقد حوكم أمام الكنيس اليهودى عام ١٧٥٦م بتهمة الهرطقة الضلال الدينى. راجع: فتح الله المشعث ص ١٩٢ — ١٩٣ . قصة الفلسفة

٢ — وأما الجانب العلمي فيكفي أن اقدم فيه :

(أ) حياة الرهينة .

(ب) عصمة البابوات .

(حـ) محاكم التفتيش .

الرهبانية :

لم تكن الرهبانية من الشعائر المألوفة فى المسيحية خلال القرون الثلاثة الأولى من الميلاد وإنما هى بدعة عرفت خلال القرن الرابع الميلادى وسيطرت على مشاعر أتباع الكنيسة حقبة من الدهر وكان لنشأتها أسباب دعت إليها أول الأمر ثم تفشى أمرها بين الناس وساء استعمالها حتى صارت مصدراً للأضرار والشرور وتجاوزت حد الاعتدال إلى الغلو الفاحش .

أجل لم تكن شعيرة من شعائر الدين وإنما كانت رد فعل لحياة الروم بعد تنصرهم فى أوائل القرن الرابع الهجرى وبعد أن صار المجتمع المسيحى يتكون من تركيبة قوامها عنصران :

العنصر المسيحى أصالة وكانت المسيحية آنذاك لها صلة وثيقة برسالة السيد المسيح إذ لم تكن الإنحرافات قد تفشت فيها على النحو الذى حدث فيما بعد .

العنصر الرومانى الحديث الصلة بالمسيحية وكان للروم فلسفة فى الحياة تصورها فى المبادىء الآتية :

١ — الايمان بالمحسوس وقلة التقدير بما لا يقع تحت الحس أو الميتافيزيقيا .

٢ — قلة التدين والخشوع .

٣ — شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها.

٤ — النزعة الوطنية[١] .

وقد ورث الروم هذه الفلسفة عن الفلسفة الإغريقية القديمة فزادوا ضعفا على ضعف فى الأخـــلاق والسلوك وتسابقوا فى إحتساء الملذات ووقفوا عليها كل جهودهم ولم يكن لهم إيمـان يغرس فى نفوسهم حب العفاف والفضيلة .

ولم يعرفوا القناعة ولا الزهد وإنما عبدوا الشهوات وأغرقوا فيها وحين امتزاجهم بالمسيحيين بعد تنصر الروم كان هناك واحد من احتمالين : إما أن يحمل المسيحيون الروح على حياة الطهارة والعفاف والايمان بالحياة الآخرة ونعيمها .

وأما أن يحرف الروم المسيحيين إلى حياة اللذة الفانية وعدم الاهتمام بما عند الله وللأسف فإن الذى حدث هو أن غلبت النزعة الرومية على السلوك المسيحى فأصبحوا جميعا أصحاب لذة ومتعة عاجلة متأثرين فى ذلك بمذهب أو فلسفة أبيقور (٢٩٠ ق . م) التى ورثها الروم عن اليونان وكان أبيقور يدين فى الأخلاق والسلوك بمذهب « اللذة » وإزاء هذا كله نجا فريق من المسيحيين إلى الرهبانية والزهد فى الدنيا كرد فعل لما رأوه من تردى وإنحطاط وانهماك فى ملذات الدنيا وكأنهم أرادوا بذلك أن يضربوا المثل للشعب المسيحى ويذكروه بالعفة والطهارة التى بشر بها السيد المسيح عليه السلام وكانت الرهبانية فى أول أمرها معتدلة ثم غالوا فيها وصارت تقوم على الدعائم الآتية :

---

(١) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ص ١٧٦ أبى الحسن الندوى

١ — العزوبة - ويعنون بها الإعراض كلية عن النساء والإضراب عن الزواج واستندوا فى هذا السلوك على عدة أسباب .

الأول : الاقتداء بالمسيح لأنه لم يتزوج وقد حث على العزوبة فعلا[١] .

الثانى : اعتقادهم أن المرأة شيطان: وفى ذلك يقول سان بونا فنتور: إذا رأيتم إمرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا حيا وحشيا وإنما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعون هو صفير الثعبان[٢] .

الثالث : اختصاص الله بالولاء : أى أن الإنسان وبخاصة رجل الدين أو الكاهن يجب أن يكون ولاؤه الكامل لله والذى يتزوج يكون ولاؤه لزوجته ولأولاده أكثر من إخلاصه للكنيسة .

وحين طرأت فكرة الرهبانية فى مجال السلوك الكنسى طبقتها الكنيسة بأثر رجعى فطلقت على رجال الدين زوجاتهم وأوجبت عليهم التبتل والانقطاع للعبادة .

٢ — التجرد الكامل عن الدنيا وبذلك حببوا إلى الأتباع العزلة

---

(١) انظر إن شئت انجيل متى (١٩—١٣) حيث يزعمون أن عيسى عليه السلام قال: يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل .

(٢) أشعة خاصة بنور الإسلام ص ٣٩ نقلا عن العلمانية مرجع سابق ذكره .

ومن العجيب أن احتقارهم للمرأة كان يشمل الأمهات والبنات فضلا عن الزوجات فاحتقار الرجل لأمه وبناته عبادة وتقوى .

التامة عن الحياة والعزوف عنها حتى النظافة والملابس كان بعضهم يرقد فى المستنقعات وهو عار ليعرض جسده للأمراض ومنهم من فـــر إلى الصحراء .

٣ — العبادة المتواصلة : كان آباء الكنيسة يحملون أتباعهم على أن يكونوا فى حالة عبادة مستمرة مهما كان الشقاء والعناء فى مزاولتها فى من الصلوات والصيام والطقوس والترانيم ومن خالف عرض نفسه لأشد أنواع العقاب .

٤ — التعذيب الشاق : كالعزلة وأكل الحشائش والتعرض لحرارة الشمس وتحمل آلاف الجوع والعطش .

بل كانوا يرون أن نجاسة الجسم والثياب والأعضاء من العبادة والتقوى لأن الجسم فان وهو مصدر الشهوات فيجب احتقاره والاهتمام بالروح .

وكأن الحياة تنافى الفطرة وتلغيها شهدت الأديرة أخطر ألوان الفسوق بما تمسك عنه[1] .

موقف الإسلام من الرهبانيـة :

الإسلام يدعو إلى التسامى والتعادل :

الرهبانية على النحو الذى قدمناه مرفوضة فى الإسلام بل هى نوع من المغالاة والتنطع فالله غنى عنها فقد خلق الكون وسخر ما فيه من نعم لخدمة الإنسان والاستمتاع بملذات الدنيا وطيباتها أمر مباح بل مرغب

(١) راجع رسالة ماجستير للأستاذ زين الدين الهادى ص ٥٤ — ٦٠ الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٩ هـ .

فيه قال تعالى « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين »[1] .

وهناك آية لا أخا لها إلا تصديا لدعوة الرهبانيـة ومروجيها وهى تواجههم فى عنف واستنكار بالغ حيث حرموا ما أحل الله من الطيبات والملذات « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »[2] .

فهذه الدنيا وما فيها لعباد الله خلق لهم فيها كل ما لذ وطاب وأمدهم فيها بنعم لا تعد ولا تحصى وليس فيها إلا ما حرم إلا الخبائث وما أحل إلا الطيبات والمنهج الجامع الذى وصفه الله للإنتفاع بما فى الدنيا من ملذات طيبات هو الاعتدال والتوسط فلا يحرم الإنسان نفسه كل الحرمان ولا يفرط فى التمتع بها كل الإفراط : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

وتطبيقا على المنهج امتدح القرآن فريقا من عباد الله كان منهجهم الاعتدال فى الإنفاق فقال « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » هذا[3] هو منهج الإسلام فى التمتع بطيبات الدنيا على وجه عام فلا اعراض ولا حرمان ولا إفراط .

أما ما قامت عليه الرهبانيـــة من حياة العزوبة والإنقطاع للعبادة والتعذيب الشاق فإن للإسلام موقفا واضحا من كل بدعة منها .

فبالنسبة إلى حياة العزوبة واحتقار المرأة ووصفها بأنها شيطان نجد الإسلام يجعل النساء شقائق الرجال فتأمل مثلا قوله تعالى « ليدخل

---

(١) البقرة آية ١٦٨
(٢) الأعراف آية ٣٢
(٣) الفرقان آية ٦٧

المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما »[1]. وقوله « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »[2] .

فالاسلام يضع المرأة موضعا كريما ويسوى بينها وبين الرجال فى الفضل اللهم الا فى ما يتفق مع طبيعة كل منهما من أن لكل منهما مجالا خاصا به يؤدى فيه رسالته .

أما أن يكون الرجل فضل من حيث أنه رجل وتحتقر المرأة من حيث أنها امرأة فذلك ما يحظره الاسلام .

وحسب المرأة من الكرامة أن رسول الله ﷺ أوصى الرجال بها وهو على فراش الموت فقال : استوصوا بالنساء خيرا .

اذن فاحتقار المرأة الذى تقرره الرهبانية العابثة انحراف خطير لم تأت به شريعة ولا يستحسنه عقل .

الترغيب فى الزواج :

فى هذا المقام يطالعنا قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء »[3] .

والأمر هنا — وان كان للاباحة — فانه يتضمن معنى الترغيب فى الزواج بدليل قوله تعالى : ما طاب .

---

(١) الفتح آية ٥
(٢) البقرة آية ٢٢٨
(٣) النساء ٣

ويأتى فى معرض الامتنان على الخلق قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[١] ،

ويشير القرآن المعجز — هنا — إلى معان تستثير جهود كل علماء النفس فى البحث عن معنى : السكن والمودة والرحمة التى جعلها الله بين الأزواج والقرار النفسى والأجواء المبهجة التى تشيع فى الأسرة السعيدة التى تحكم علاقاتها توجيهات الاسلام .

وقد ورد عنه ﷺ أنه رغب الشباب — اذا ملكوا القدرة على الانفاق — فى الزواج فقال : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج[٢] ، وقال . الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة .

فالاقبال على الدنيا وترك الآخرة مذموم والانقطاع للعبادة وطلب الآخرة — كذلك انحراف غير محمود فى التوجيه الاسلامى وفى القرآن الكريم وردت الاشارات الحكيمة فى الأخذ بالأسباب الموصلة للرزق الحلال : « ولا تنس نصيبك من الدنيا »[٣] .

وهكذا يأخذ الاسلام بالاعتدال وينهى عن الافراط والتفريط معا فجاء بشريعة لم تصادم فطرة ولم تحمل الناس ما فيه عنت ومشقة .

وما من شىء ابتدعته الكنيسة فى رهبانيتها إلا جاء الاسلام بتعديله وتهذيبه ودعا الاسلام عباد الله جميعا للتمتع بما فى الكون من طيبات .

---

(١) الروم ٣١
(٢) أخرجه مسلم فى كتاب النكاح
(٣) القصص ٧٧

عصمة البابوات

ومن الأخطاء الشنيعة التى وقعت فيها الكنيسة بدعة الزعم أن البابا معصوم وأن عصمة البابا دعامة بارزة فى الاعتقاد الكنيسى وركن ركين فى تكوين الكثلكة التى تقوم على عقائد عصمة البابا واحتكار تفسيره للنصوص المقدسة وجعل أقوال القساوسة ورجال الاكليروس « الدين » مساوية لنصوص الكتاب المقدس فى الدرجة ووجوب العمل بها بالاضافة الى التثليث والأسرار اللاهوتية وكون البابا أى بابا يستمد سلطانه من « الرب » مباشرة ثم الاعتراف أمام الكاهن وغفران الذنوب وبيع الجنة بعقود مدنية فى المزاد العلنى وايصاد الباب أمام العباد بينهم وبين الله إلا عن طريق الكهان وتقديم القرابين لهم .

وبهذه العقيدة — عصمة البابا — كان الناس يعتقدون أن البابا قادر على منح البركات وانزال اللعنات وتعطيل القوانين الطبيعية اذا شاء واحداث الظواهر الكونية اذا أراد فهو قادر ومن حقه ادخال من يريد فى الرحمة وطرد من يستحق منها قادر على انزال المطر من غير سحاب وعلى تفريق العواصف المدمرة وتعطيل مفعولها كما يفعل خبراء المفرقعات فى أبطال مفعولها[1] .

واحتل البابا ومساعدوه من الطبقة العليا فى البناء الكنيسى منزلة رفيعة فى قلوب الناس وسيطروا على مشاعرهم ووجداناتهم وكعادة العقائد الكنيسية فى الانتحال والاستعارة والترقيع فان بدعة عصمة البابا انتحلت من عقائد الأمم الوثنية كما فى عقيدة الفرس قبل الإسلام حيث كانوا يعتقدون فى « ملوكهم » عقائد عمياء ويقدسونهم كأنهم آلهة .

(١) الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة — د. عبد العظيم المطعنى ص ٤٨

بيد أن خداع الباباوات وحاشيتهم لرعاياهم قد تعرض لفضائح خطيرة فيما يتعلق ببعض المطالب .

فقد وقع فى جزيرة صقلية جفاف كاد يهلك النسل والضرع وذهب الناس إلى القساوسة يطلبون منهم إنزال الأمطار فعجزوا - بالطبع - فانهال الناس على القساوسة والقديسين ورموهم بأقذع الشتائم والسباب وجلدوا بعضهم بالسياط وربطوا بعضهم فى العراء تحت حر الشمس وأخذوا يهتفون فى وجوههم : إما المطر وإما حبل المشنقة[1] .

الإسلام يزيل هذا الوهم :

الإسلام حرر الإنسان من كل أشكال الرق والعبودية والتبعية وجعل الناس سواء أمام الله لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح وحرر عقولهم من الجمود والتحجر وسما بالإنسان إلى أعلى عليين وحارب الكهانة وشنع على مدعيها فالنافع والضار هو الله وحده هو القائم على كل نفس بما كسبت يعلم سرها ونجواها فإذا أراد بأحد خيراً فلا راد له وإن أراد بأحد ضراً فلا كاشف له إلا هو .

ونصوص القرآن تنحو فى هذا المجال منحيين أولاهما : يتحدث عن الأنبياء والرسل وهم أعرف الناس بالله وأخشاهم له وأقربهم إليه وأعلام منزلة وهم معصومون من المعاصى كبيرها وصغيرها بعد البعثة باتفاق وقبل البعثة على الأرجح ومع هذا فإن القرآن يتحدث عن كثير منهم بأنهم كانوا يتوبون إلى الله ويستغفرونه وقد يؤمر فريق منهم بالاستغفار وهم قط لم يذنبوا وإنما يعتبرون جهادهم وعملهم فى مجال الدعوة قاصراً عن بلوغ رتبة الكمال الأسمى بالنسبة لجلال مرسلهم وعظمة شأنه أو يعتبرون بعض ما فعلوه باجتهادهم ظانين أنه فى خـــدمة الدعوة قد خالف الأنسب

---

(١) قذائف الحق — الشيخ محمد الغزالى ص ٤٨ . نقلا عن المصدر السابق

والأولى إما بإخبار من الوحى أو بعد التطبيق العملى فيتوبون ويستغفرون.

فموسى عليه السلام يطلب المغفرة له ولأخيه «رب اغفر لى ولأخى»(١).

وداود يخبر عنه القرآن الأمين أنه «فاستغفر ربه وخروا كعا وأناب»(٢)

وسليمان يحكى عنه القرآن أنه قال «رب اغفر لى وهب ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى»(٣).

ومحمد عليه السلام يقول له القرآن الكريم: «فسبح بحمد ربك واستغفره»(٤).

ومعنى هذا ان صفوة الخلق وهم رسل الله يستغفرون ربهم ويقرون بأن لهم ذنوباً خاصة بهم وهم معصومون ولم تمنعهم عصمتهم من أن يستشعروا القصور أمام الخالق هذا شأن رسل الله فما بالك بعامة الناس من بعد رسل الله؟ ولن يكون فى خلق الله من هو أكرم عند الله من رسل الله فكيف يمنح البابوات أنفسهم والمقربين منهم حقا يجعلهم أسمى من رسل الله هذا هو المنحى الأول للقرآن فى مواجهة بدعة عصمة البابوات وقداستهم وإطلاق يدهم فى ملكوت الله يدخلون الجنة من يشاءون ويطردون منها من يشاءون(٥).

المنحى الثانى التنديد بموقف البابوات وحاشيتهم:

ندد القرآن بموقف البابوات والأحبار والرهبان كما ندد بموقف من صدق بما يقولون افتراء على الله وعلى رسله.

ندد بالأولين فقال: «إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل»(٦).

---

(١) الأعراف ١٥١. (٢) ص ٣٥.
(٣) ص آية ٣٤. (٤) سورة النصر ٣.
(٥) د/ عبدالعظيم المطعنى الإسلام فى مواجهة الايديوجيات المعاصرة ص٤٩ (٦) التوبة ٣٤.

ويدخل فى المال المأكول بالباطل : القرابين وأثمان صكوك الغفران والعشور والوصايا وكلها موارد كانت تدر على رجال الدين ربحاً فاحشاً وتدد بمن صدقهم ويطيعهم فقال : «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون»[1] .

وهذه الآية تكاد تكون نصاً فيما عليه عقيدة النصارى الذين أمروا بعبادة الله فبدلوا دينهم واتخذوا عيسى رباً كما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا وهذا ضلال ما بعده ضلال .

فدعوى البابوات أنهم وحدهم لهم الحق فى تفسير نصوص الوحى وأنهم لهم الحق فى ابتداع نصوص من عندهم إلى نصوص الوحى تكون لها من القداسة ما لنصوص الوحى هذه المزالق الخطرة ويحذر منها القرآن أيما تحذير «ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله»[2] .

فانت ترى أن القرآن الكريم قد أبطل هذه الأوهام ووضع الحق فى نصابه ونبه على الضلال الذى وقعت فيه الكنيسة فحرفت نصوص الوحى ولم تكن أمينة على كلمات الله وادعت لنفسها من الحقوق مالا يصح ثبوته إلا الله سبحانه وحرفت العقائد وأحلت محلها أمورا مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولذلك باءت بالفشل حتى فى المجتمعات المسيحية وكان لابد أن تبوء بالفشل لأنها واجهت الناس بما ألغى عقول الناس وصدم مشاعر الناس .

إذا عرفنا ذلك كله عرفنا إلى أى وضع انحطت الكنيسة وصادمت بعد الفطرة العقول .

---

(١) التوبة ٣١ . (٢) الأنعام ٩٣ .

محاكم التفتيش :

قيل بدأت أسبانيا عام ١٤٧٨م وقيل قبل ذلك فى فرنسا حين أراد البابا (جريجورى التاسع) محاكمة الهراطقة مخالفى الكنيسة وذلك عام ١١٢٣ م[1] .

وعندما أرسل نابليون حملة إلى أسبانيا بعد أربعة قرون من سقوطها فى أيدى الصليبية تحدث أحد ضباط حملته : وهبطت على درج السلم فإذا نحن فى غرفة كبيرة مربعة وهى عندهم قاعة المحاكمة ثم توجهنا إلى غرف التعذيب التى امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض ورأينا غرفا صغيرة فى حجم جسم الإنسان بعضها أفقى فيبقى سجين الغرف الأفقيه ممدود فيها حتى يموت وتبقى الجثث فى السجن حتى تبلى ويتساقط اللحم عن العظم وتأكله الديدان ولتصريف الروائح الكريهة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة على الفضاء الخارجى وقد عثرنا فى هذه الغرف على هياكل بشرية مازالت فى أغلالها .

واستطعنا انقاذ عدد من السجناء أعمارهم بين ١٤ — ٧٠ ... ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فوجدنا آلات لتكسير العظام وسحق لجسد البشر وكانوا يبدأون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجياً حتى يهشم الجسم كله ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ثم عثرنا على صندوق بحجم رأس الإنسان يوضع فيه ويربط بالسلاسل والأغلال وفى أعلى الصندوق ثقب تتساقط منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام فى كل دقيقة

---

(١) راجع زين الهادى رسالة ماجستير ص ٥٤ ط سنة ١٣٩٩ﻫ نقلا عن التيارات الفكرية د. على جريشة ص ٦٦

نقطة وقد جن الكثير بسبب هذا اللون من العذاب وآلة أخرى... تثبت فيه سكاكين حادة وآلات كالكلاليب تغرز فى لسان المعذب وكلاليب تغرس فى أثداء النساء وتسحب بعنف بعده تتقطع الأثداء...

وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تتفتت عظامهم وتتناثر لحومهم[1] .

ولا نحسب الأمر يحتاج هنا إلى أدنى تعليق .

ثانياً : الظروف الإقتصادية والإجتماعية :

ولئن وصلت أوروبا فى قرونها الوسطى إلى الحضيض فى تعاملها مع الدين فقد كانت كذلك فى الحضيض بالنسبة لظروفها الإقتصادية والسياسية والإجتماعية .

كانت أوروبا تعيش حياة الإقطاع حيث يملك نفر بسيط الأرض بما عليها ومن عليها ولم يكن للعامل حق فى أجر عادل بل كان يمثل شيئاً ، يملكه الإقطاعى كما يملك الآلات الزراعية القائمة على هذه الأرض سواء بسواء ومن ثم كانت الغالبية من الناس تعيش حياة الفقر والفاقة والعوز بينما قلة من الناس تعيش حياة الترف والدعة والفجور .

وبذلك نشأ اجتماعياً فى المجتمع طبقتان طبقة السادة التى تملك كل شىء ولها كل شىء وطبقة العبيد التى لا تملك شيئاً وليس لها أى شىء .

---

(١) قصة الإضطهاد الدينى — توفيق الطويل ص٦٩—٧٠

وكانت الكنيسة لا تكتفى بالسكوت على مظالم الإقطاع بل إنها كانت تمارس نفسها الإقطاع[1] .

أما الجانب السياسى فقد كان خاضعاً لنفس الظروف الحاكم اقطاعى يتملق الإقطاعيين ويتملك العبيد ويقدم إعانة سنوية للإمبراطور مقابل قيامه بالحكم وفرض الضرائب وتحصيلها وكان هـــذا يمثل ما أسموه «بالسلطة الزمنية» وإلى حوار هذه السلطة الزمنية كانت «السلطة الدينية» ممثلة فى الكنيســة والتى بلغ جورها حد إقامتها لمحاكم التفتيش التى راح ضحايا لها حوالى ثلاثمائة ألف منهم أثنان وثلاثون ألف ماتوا حرقاً والتى جار سلطانها على السلطة الزمنية بما مارسته عليها من قرار الحرمان أن هى لم تخضع لرغباتها وأهوائها[2] .

---

(١) يقول «ول ديورانت» أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضى وأكبر السادة الإقطاعيين فى أوروبا فقد كان دير «فلدان» مثلا يمتلك خمسة عشر ألف قصر وكان دير «سانت جول» يملك ألفين من رقيق الأرض ويقال أنه صار لهم فى فرنسا ربع الأرض (تاريخ التمدن الحديث ص٦٥) وكان على الناس أن يعملوا يوماً كل أسبوع فى أراضى الكنيسة وعشر أموالهم هبة لها .

(٢) من ذلك ما أصدره البابا نقولا الأول : أنا ابن الله ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين .(تاريخ التمدن الحديث ص ٤٥) . ويقول البابا جريغوريس : أن الكنيسة هى صاحبة السيادة فى العالم كله تستمد نفوذها من الله مباشرة وتمد هى ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ وأن البابا له مركز قوة فى العالم فهو الذى يولى الأساقفة ويخلعهم وله الحق فى خلع الأباطرة لأنه سيدهم الذى لا يسأل عما يفعل (معالم تاريخ العصور الوسطى — محمد رفعت محمد حسونة ص ١٣٧) .

وكان التعاون آثما بين السلطتين على حساب الشعب المقهور الذى عانى أقسى ما عانته البشرية فى عصور كثيرة[1] .

نتائج هذه الظروف :

كان لهذا القهر الذى مورس على العقول حربا على العلم والعلماء وعلى كل جديد أو مكتشف مع ما تعانه الكنيسة من أقانيم وصلب وصكوك غفران وحرمان وكان لهذا القهر الذى مورس على القلوب قبولا بكل ما تقوله الكنيسة اعتبارا مما قررته للبابا من حق غفران الذنوب عام ١٢١٥م إلى ما قررته بعد ذلك من عصمته من كل خطأ عام ١٨٦٩م إلى ما بين ذلك وما بعد ذلك من تفتيش على القلوب مع حجر على العقول وكان للقهر الذى مورس على الأبدان تعذيبا وسجنا وتقتيلا مع القهر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى ظل حكم الاقطاع كان لابد لهذه الأفعال ردود أفعال .

وكان أول نداء بفقدان الثقة فى الكنيسة فى كونها مصدرا للمعرفة وسلطان التوجيه والمناداة بفصل الدين عن الدولة بتقييد سلطان الكنيسة داخل حدود جدرانها بحبس الدين فى رأى المعتدلين وباعدام الدين فى رأى المتطرفين .

أول تمرد على الكنيسة :

ظلت الكنيسة تتمتع بالسلطان الكامل والسيادة العليا فى أوروبا وبخاصة بعد أن هادنت عدوها اللدود المتمثل فى الملوك والرؤساء

---

(١) وكان من ذلك ما أعطته من شرعية الطغيان السياسى إذ أطلقت على لسان المسيح : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (معالم تاريخ العصور الوسطى ص ٤٣) .

ووافقت على مبدأ « فصل الدين عن السياسة » وبذلك ضمنت الكنيسة بقاء سلطاتها الروحى واحتكارها للمعرفة باعتبار المصدر الوحيد لها ولما تفاقم خطر الكنيسة واستفحل داؤها ظهرت حركة عرفت بحركة الإصلاح الدينى وهى فى الواقع أول تمرد عنيف على فكر الكنيسة ومعتقداتها وتصوراتها الهزيلة فى كل ما قالت به .

لوثر والإصلاح الدينى :

تنسب حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا إلى مارتن لوثر[1] وإلى كلفن من بعده والواقع أن لوثر قام بعبء ضخم فى هذا المجال ولكنه لم يسر فى الطريق إلى النهاية المرجوة وقد حاولت الكنيسة عقابه لكنه أفلت من عقابها .

وتتلخص حركة الإصلاح الذى قام به كل من لوثر وكلفن فى الخطوات الآتية :

أبطال الأحكام التى صدرت من البابوات ولم يكن لها أصل فى الكتاب المقدس .

محاربة صكوك الغفران وحق الغفران الذى زعمه البابوات لأنفسهم .

أبطال القول بالعشاء الربانى واستحالة الخبز والخمر فيـــه إلى لحم المسيح ودمه .

نادت بضرورة تزويج الكهنة والقضاء على حياة العزوبة .

إنكار عبادة الصور والتماثيل وبطلان السجود لها .

إنكار إستئثار البابوات بتفسير وفهم الكتاب المقدس[2] .

---

(١) المسيحية — د . أحمد شلبى ص ٢٥٨

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢١٠ — ٢١١ — الندوى

واذا كان لوثر قد خرج على الكنيسة وعقائدها الموروثة فانه ظل معها فى خطأ جسيم وهو أن مسائل الإيمان منحة من عند الله فلا يجوز أن يكون للعقل حكم فيها وعلى أية حال فان لوثر وكلفن قد نزعا ثوب المهابة عن الكنيسة وفتحا بابا خطيرا فى التمرد عليها وافتقادها سيطرتها على العامة والخاصة على حد سواء .

ويصور ويلز هذا الانحدار الذى وصلت إليه الكنيسة بعد حركة الإصلاح فيقول : كادت الكنيسة تفقد سيطرتها على ضمائر الأمراء وذوى اليسار والاقتدار من الناس كذلك بدأت تفقد إيمان عامة الناس بها وثقتهم فيها وكان من نتائج إنحطاط سلطانها الروحى على الطبقة الأولى أن بدأوا ينكرون عليها تدخلها فى شئونهم وقيودها الخلقية عليهم ومدعياتها بالسيادة العليا فوقهم وادعاؤها الحق فى فرض الضرائب[1] .

ومن المصلحين الذين تمردوا على الكنيسة ديكارت الفيلسوف الفرنسى الذى نادى بأن للعقل ميدانه وللدين ميدانه وميدان العلم هو الطبيعة وميدان الدين هو العالم الآخر وبدا عزل الدين عن العلم وعن الحياة ،و«فولتير» الذى أسمى النصرانية (بالكائن الوضيع) وكتب مقبرة التعصب فى عام ١٧٣٦م وان لم ينشر إلا فى عام ١٧٦٧م وكان من بين ما قاله فيه : أن كل رجل عاقل لا يملك إلا أن يعرق فزعا من إعتناق المسيحية .

ووصف عقيدة النصارى بأنها : عقيدة متناقضة سفاكة للدماء ينتصر لها الجلادون وتحيط بهم عصبة من الأشرار عقيدة لا يذعن لها إلا الذين أفادوا منها سطوة وثراء ... عقيدة خاصة لم يعتنقها إلا عدد قليل من سكان هذا العالم ووصف التوحيد (يقصد الوحدة) بين الدين والدولة أنه : أبشع نظام . وقال أنه : يجب الغاءه . ودعا إلى إبعاد الدين عن الدولة

---

(١) ويلز — معالم تاريخ الإنسانية ج ٣ ص ٩٨٩ — ٩٩٠

وفصل الدولة عن الدين ، وطالب باقامة نظام حر يخضع فيه رجل الدين لنظم الدولة ويخضع فيه الراهب للقاضى[١].

معاداة الكنيسة للعلم :

إذا عددنا حركة الإصلاح الدينى أول سبب فتح للناس باب التمرد والخروج عليها فإن هناك سببا آخر أزكى روح العداوة فى الكنيسة وتعاليمها وهو معاداة الكنيسة للعلم واضطهادها للعلماء واعتبار كل كشف علمى وإن كان صحيحا هرطقة وكفراً .

ومما يذكر من الحوادث الصغيرة فى هذا المجال أن مهندس بلدية فى ألمانيا كان قد اكتشف أو اخترع مصباحا يضاء بالزيت ليلا فاعتبرته الكنيسة مهرطقا وقضت عليه بالحرمان وعللت حكمها بأن الله أراد الليل ظلاما وأراد النهار ضياء ، وأن أية محاولة لاضاءة الليل إنما هى تمرد على إرادة الله[١].

ولسنا ندرى ماذا كانت ستري الكنيسة لوحدث اكتشاف الكهرباء فى عهدها الذهبى وفى أوج سلطانها .

الكشوف العلمية الحديثة :

من العوامل التى كانت مختبرا صعبا للكنيسة البحوث العلمية التى أسفرت عن حقائق كونية بالغة الأهمية وكان لها نصيب من الصحة .

وفى مقدمة هذه الكشوف نظرية كوبر نيق (١٥٤٣م) الفلكية والتى

---

(١) الاتجاهات الفكرية — د علي جريشة ص ٧٠

(٢) الإسلام فى مواجهة الأيولوجيات المعاصرة — د. عبد العظيم المطعنى ص ٧٢

تقضى بأن الشمس هى مركز الكون وأن الأرض تدور حولها وكذلك بقية الكواكب كانت هذه النظرية بمثابة قذيفة فجرت فى هيكل الكنيسة ووضعتها أمام أعقد مشكلة فى تاريخها الوسيط .

فقد كانت الكنيسة تعتقد أن الأرض هى مركز الكون وأن الشمس هى التى تدور حولها قاطعة المسافة ما بين شرقها وغربها فى نظام محكم وقد ورثت الكنيسة هذه العقيدة عن نظرية بطليموس وأخذت بها وجعلتها حقيقة من حقائق الدين .

ولم تفتح الكنيسة صدرها فتقارن بين النظريتين وتأخذ بالصحيح منها وإنما سارعت بالقاء القبض على كوبر نيق وقدمته لمحاكم التفتيش وهو فى سن الشيخوخة وقبل إصدار الحكم عليه عاجلته المنيـــه وفوتت على الكنيسة فرصة الانتقام والتأديب والتشفى .

وصادرت الكنيسة كتاب كوبر نيق (حركات الأجرام السماوية) وقالت أن ما فيه إنما هو وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل، وظنت الكنيسة أنها أحكمت قبضتها على الأمر ووأدت نظرية كوبر نيق فى مهـــدها .

وبعد قليل من الزمن قيض الله رجلا وآخر يبعث نظرية كوبر نيق من جديد وهو برونو وزاد على نظرية أستاذه بأن الفضاء غير محدود وأن الشمس وكواكبها ليست سوى واحدة من عدة مجموعات مشابهة وأن هناك احتمالا لوجود عوالم أخرى مسكونه تضم مخلوقات عاقلة تمتاز عنها .

وإذا بالكنيسة تهب من جديد وتلقى به فى السجن وحوكم برونو أمام محكمة التفتيش وأدين وأحرق مربوطا إلى عمـود فى فبراير سنة ١٦٠٠ ليكون عبرة لمن سواه من العلماء والباحثين .

لم توقف إجراءات الكنيسة القمعية تدفق العـــلوم ولم تخف قلوب

العلماء فقد استمر البحث العلمى فى التقدم وتبنى العالم الفلكى جاليليو النظرية الفلكية السابقة وخطا بها خطوة واسعة إلى الإمام .

اخترع جاليليو هذا جهازه الخطير «التلسكوب» وأيد به عمليا وتجريبيا ما نادى به (كوبر وبرونو) نظريا من قبل فأسرعت الكنيسة بالقاء القبض عليه وتقديمه للمحاكمة .

وقضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن وأمروه بتلاوة مزامير الندم السبعة كل أسبوع طوال ثلاث سنوات[1].

وخاف جاليليو أن تفعل به الكنيسة مثلما فعلت ببرونو من قبل فاعلن ارتداده — ظاهريا — عن رأيه أعلنه وهو منحن على ركبتيه أمام رئيس المحكمة وهو يقول: أنا جاليليو وقد بلغت السبعين من عمرى راكع أمام فخامتك والكتاب المقدس أمامى ألمسه بيدى أرفض وألعن واحتقر القول الإلحادى الخاطىء بدوران الأرض وأتعهد مع هذا بتبليغ المحكمة عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد هذا الزعم المضلل[2].

وبهذا الأسلوب القمعى كانت الكنيسة تتعقب كل عالم يكتشف ظاهرة جديدة من ظواهر الكون ومن الملاحظ أن الكنيسة لم تكن تسمح بمناقشة الكشف العلمى على الاطلاق بل كانت تستخدم سلطتها العاتية فى مصادرة كل ما تراه خارجا على فكرها وتعاليمها .

ومن الطريف أن جاليليو — كما تذكر المصادر — أخذ يردد فى صوت خافت وهو خارج من المحكمة هذه العبارة: ومع ذلك فان الأرض هى التى تدور[3] .

---

(١) ويلز — تاريخ معالم الانسانية حـ ١ ص ١٠٠٨

(٢) النزاع بين الدين والفلسفة — د. توفيق الطويل ص ٢٠٥

(٣) عظماء الانسانية مائة .

نيوتن والجاذبية :

كانت وفاة جاليليو فى سنة ١٦٤٣م وفى هذا العام ولد اسحاق نيوتن وكأن القدر قد جاء به تعويضا عن جاليليو ليكون امتداداً له فى الكشف عن معارف جديدة مما أودعه الله من أسرار فى كونه الفسيح إذ على يد نيوتن هذا ظهر قانون الجاذبية الذى ذاع صيته وكان له وقع قوى انبهر له رجال الدين وغير رجال الدين من الطبقات التى نالت حظا وفيراً من الثقافة :

وفى هذا الوقت الذى أعلن فيه نيوتن عن نظرية الجاذبيـــة كانت البحوث قد وصلت بنظرية كوبرنيق وبرونو وجاليليو إلى درجة اليقين لذلك كان إنتصار نيوتن مضاعفا وزادت ثقة الناس فى كشوفات العلماء وإزداد تدهور الكنيسة وتداعت معارفها واحدة بعد الأخرى ومع أن نيوتن كان مؤمنا بالله فان رجال الكنيسة حاربوه واضطهدوه وقالوا : أن نظريته تؤدى إلى إنكار عناية الله وكانت الكنيسة صادقة فى هذا التوقع إلا أن صدقها لن يشفع لها إزاء قصورها وجحودها فى هذا المجال.

فلو أن الكنيسة استغلت هذه الكشوف فى الدعوة إلى الإيمان واستطاعت أن تربط بين هذه القوانين وبين القدرة والحكمة الإلهية لتغير مجرى التاريخ الدينى فى أوروبا ولكنها لجأت إلى مصادرة الفكرة ولم تجد هذه المصادرة شيئا أمام صدق الكشوف وظهور آثارها .

وإلى هنا كان فقدان الثقة فى الكنيسة قد بلغ مداه واتجه الناس بعامة والمثقفون بخاصة إلى مصادر جديدة للمعرفة وأداروا ظهورهم للكنيسة وأذنت شمسها بالغروب .

وفى القرن السابع عشر اكتملت النظرية العلمية المادية الكنيسة

وراجت فى جميع الأوساط وأسفرت عن نتائج واتجاهات بالغة الأهمية والخطورة وقد لخصها برتراندرسل فى الحقائق الآتية :

١ — أن تقرير الحقائق يجب أن يقوم على الملاحظة والتجربة لا على الرؤية غير المؤيدة بمعنى النصوص الدينية .

٢ — أن العالم غير الحيـــوانى — الجمادات — متفاعل فى نفسه مستبق لنفسه وتنطبق كل التغييرات التى فيه مع قوانين الطبيعة .

٣ — أن الأرض ليست هى مركز الكون وأن الإنسان قد لا يكون الهدف من وجودها أى هدف وفوق ذلك فإن فكرة الهدف فكرة لا فائدة منها من الناحية العلمية[1] .

ولم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدى أمام هذه التطورات الخطيرة بل قاومتها من محورين :

أحدهما : ظهرت — لأول مرة — القوائم البابوية التى ذكرت فيها أسماء الكتب المحرمة قراءتها واقتناءها وكان من يعثر عنده على كتاب منها يقدم لمحاكم التفتيش بلا رحمة .

والثانى : متابعة العلماء والمبالغة فى اضطهادهم وتعذيبهم بكل ألوان التعذيب .

وأسفرت هـذه التحديات عن نتائج لم تكن فى صالح الكنيسة بل زادت من الفجوة بينها وبين الناس عامتهم وخاصتهم وارتفعت الأصوات فى كل مكان تندد بالطغيان الكنسى .

وأسهمت الكشوف العلمية فى إيجاد فكر لا دينى بدأ ضيفا فى أول الأمر ثم قوى واشتد بمرور الأيام ونتج عن ذلك إتجاهان كبيران كل

(١) أثر العلم فى المجتمع برتراندرسل ص ٦ ترجمة د . تمام حسان .

منها يدعى أنه المصدر الوحيد للمعرفة بعد سقوط الكنيسة من هذا المجال والإتجاهان هما :

الأول : الإتجاه العقلى أو القول بسيادة العقل .

الثانى : الإتجاه الوضعى أو القول بسيادة الحس .

سيادة العقل أو عصر التنوير :

كان ظهور هذا الإتجاه رد فعل مباشر لفقدان الثقة فى الكنيسة باعتبارها مصدراً وحيداً للمعرفة وقد سميت الفترة التى ظهر فيها الإتجاه العقلى فى تاريخ الفلسفة الأوربية بـ « عصر التنوير » وتحديده الزمنى هو النصف الثانى من القرن الثامن عشر ويغلب على الفكر العقلى فى تلك الفترة المضادة للدين ومناوآته بعد الفشل الذريع الذى منيت به الكنيسة أمام التغييرات المفاجئة التى ظهرت على ساحة الفكر آنذاك .

والمحور الذى تقوم عليه الفلسفة العقلية أو المثالية كما يطلق عليها هو :

أن العقل — وحده — هو مصدر المعرفة اليقينية الصحيحة وأن له الحق فى الاشراف على كل إتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون وأخلاق ودين . وأن الإنسانية هى هدف الحياة للجميع وليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة وقد يطلق على هذه الفلسفة : عصر الإيمان الفلسفى بإله ليس له وحى وليس بخالق للعالم ، وهو العقل أى أنه يؤله العقل وفى نفس الوقت لا يدعى أن للعقل الإله الجديد وحيا ولا هو خالق للعالم[1] .

دعاة هذا الإتجاه :

وكان لهذا الإتجاه أنصار ورواد : فولتير فى فرنسا وبيلى ولا مترى وولف فى ألمانيا واسنج ولولا فى أنجلترا وغيرهم كثيرون .

---

(١) د محمد البهى / الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ ٢٥٢

المغالاة فى سلطان العقل :

اتسم عصر التنوير فى الإفراط فى سلطان العقل ورأوا فيه مصدراً وحيداً كافيا لحل كل ألغاز الحياة وأسرار الكون ومن أعداء الكنيسة فى عصر التنوير الفيلسوف الفرنسى فولتير فقد نقد نقد واقع المسيحية التقليدية إذ ذاك نقدا مرا وضم إلى النقد الأسلوب الساخر اللاذع الذى تطاول به حتى على الذات العلية — الله .

ولكن يمكن الاعتذار عنه بأنه إنما كان يعنى الله الذى تتصوره الكنيسة وليس الله الذى له الكمال المطلق، وقد دعا فولتير إلى دين جديد غير دين الكنيسة وغير اله الكنيسة .

ذلك الدين وهو الدين الطبيعى أما الإله فهو الطبيعة نفسها وكانوا يصفون الطبيعة « الإله » بأنها « إله جذاب » لا رجال دين فيه يأتون بالعقائد الطلسمية والأسرار الملغزة الذين يستعبدون الناس لحسابهم .

وفولتير كان يوجه نقدا لاذعا للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وهو فى الواقع نقد موضوعى مدعوم بأجلى الأدلة وأقواها، فتراه يعلق على معلومات التوراة الجغرافية المغلوطة فيقول : من الواضح أن الله لم يكن قويا فى الجغرافيا[1] ، ولم يكن فولتير كافرا ملحدا بل كان ممن يرون ضرورة الإيمان بالله أما الوحى فأنكره مع من أنكره مثل : بوب وآخرين ولكن هذا الإيمان لم يكن كاملا فقد أنكروا الوحى والسبب فى ذلك أنهم لو أقروا به للزم من الإقرار به صحة مدعيات الكنيسة .

وكذلك كانوا يؤمنون بان : الله شبيه بصانع الساعة الذى لم يكن له تدبير فيها بعد خروجها من يده .

---

(١) قصة النزاع ص ١٩٠ — د . توفيق الطويل .

وهكذا ترى الأفراط فى سلطة العقل قد قاد بعض العقليين إلى ما يقرب من الكفر والإلحاد أو قاد بعضهم إلى الكفر والإلحاد فعلا وبعض العقليين على الرغم من جعله العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة دون سواه فانه أخرج قضايا الايمان وفى مقدمتها الله من سلطان العقل ومن أشهر من قال بهذا الفيلسوف الفرنسى « ديكارت » ولكنه لم يخرج الله وحدة من سلطان العقل بل أخرج كل العقائد الكنيسة والنصوص المقدسة وكان يرى أن لا مضايقة بين العلم والدين لأحدهما على الآخر ويخالفه تماما الفيلسوف جون لوك فقد أخضع الدين للعقل عند التعارض فقال : من استبعد العقل ليفسح للوحى مجالا فقد نور كليهما...[1] .

وعلى كل فإن الإتجاه العقلى المثالى فى عصر التنوير لم يقف موقفاً محوداً أمام قضايا الايمان والدين والسبب فى ذلك كله فشل الكنيسة فى عرض الدين كما أنزله الله فقد واجهت الناس مواجهة هزيلة ببضاعة أكثرها فاسد فهى وحدها المسئولة عن هذا التردى ومما تجب الاشارة إليه أن النزعة الالحادية أو الشبيهة بالالحاد لم تكن ذائعة ولا منتشرة بين عامة الشعب فقد ظل الشعب مؤمنا فى عصر التنوير وان فقدوا بعض الثقة أو كل الثقة فى الكنيسة .

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٤

الفصل الثاني

أدلة العلمانيين على أن العلمانية هي الحل

يذكر العلمانيون أدلة كثيرة على أن العلمانية هى الحل للتخلص من السلطة الدينية ومرجعها كلها أن الدين ضد التقدم وجامد ولا يستطيع أن يشمل كل مظاهر الحياة والحقيقة أن كل أدلة العلمانية تنطبق على الدين النصرانى المحرف .

فهذا (ماكيافيلى) يدعو الحكام الزمنيين إلى ممارسة حكمهم بمعزل عن الكنيسة ورجال الدين الذين كانوا يفرضون هيمنتهم على الأمراء والملوك من هنا كتب كتابه المشهور الأمير وقدمه هدية للأمير ويمكن أن نشير إلى نظريته السياسية فيما يأتى: يرى ميكافيللى أن أنسب نظام لتحقيق غرضه هو الذى يستند إلى سلطة مركزية ديكتاتورية مطلقة قوية وأن مصالح الدولة العليا وبوجه خاص وحدة البلاد لا يجوز أن تقف فى وجهها أى اعتبارات دينية أو أخلاقية كما أن المصالح فى رأيه تبرر لجوء الأمير إلى استخدام جميع الطرق كالرشوة والغدر والخيانة والاغتيال والقوة .

يقول فى كتابه الأمير وعلى الأمير الذى يجد نفسه مرغما على تعلم طريقة عمل الحيوان أن يقلد الثعلب والأسد معاً إذ أن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الأشراك والثعلب لا يتمكن من الدفاع نفسه أمام الذئاب .

ولهذا يتحتم عليه أن يكون ثعلبا يميز الفخاخ وأسدا ليرهب الذئاب ...

وعلى الحاكم الذكى المنتصر أن يحافظ على وعوده عندما يرى أن هذه المحافظة تؤدى إلى الإضرار بمصالحه وأن الأسباب التى حملته على إعطاء ذلك الوعد لم تعد قائمة[١] .

ويقول : وهكذا فمن الخير أن نتظاهر بالرحمة وحفظ الوعد والشعور الإنسانى النبيل والإخلاص والتدين وأن تكون فعلا متصفا بها ولكن عليك أن تعد نفسك عندما تقضى الضرورة لتكون متصفاً بعكسها[٢] .

وواضح أنه يقرر أن الغايات تبرر الوسائل أيا كانت يقول : وهى حقيقة لا استثناء فيها تبرر الغاية الواسطة[٣] .

ومن هنا أطلق مصطلح الميكيافيللية على تلك السياسة التى لا تعير القيم الأخلاقية أو الدينية أى اعتبار أو تقدير . ولقد حمل ميكيافللى بشده على سياسة البابوية [واعتبر تعاليم الكنيسة بمثابة عبء يحول دون الإبداع النشط للإنسان ومع هذا فإنه لا يناهض الدين وإنما يؤمن بإمكانية تحويله إلى أداة سياسية فى يد الأمير يحقق بها أهدافه المطلوبة[٤] .

أما من ناحية الديانة المسيحية فإنه يستنكرها لحضها الناس على السلبية فى اندفاعهم لتحقيق المنجزات الدنيوية .

ولقد وجه ميكيافللى للكنيسة اتهامين أساسيين هما :

١ — إن إسراف رجال الدين فى الملذات وسقوطهم فى الرذائل قد

---

(١) الأمير ميكيافللى تعريب خيرى حماد — بيروت ص١٥٨
(٢) المرجع نفسه ص١٦٠
(٣) المصدر السابق ص١٦١
(٤) الفكر السياسى دراسة مقارنة فؤاد محمد شبل ص ٣٤٤

دمر الروح الدينية فى قلوب الإيطاليين فساعد هذا على إشاعة أحط الغرائز وانتشار أسفل الصفات فى أوساطهم .

٢ — أنها هى أس البلاء فى انقسام بلاده إيطاليا والعامل الأساسى فى تمزيق وحدتها[١] .

فانحراف رجال الدين هو الذى دفع مكيا فيللى لهـــذا الموقف وفى بريطانيا فى القرن السابع عشر أعطى هوبس تبريرات لعلمانية الدولة رافضاً فكرة الحق الإلهى أى كون الحكومة من الله] يقرر هوبس أن العقل الإنسانى لا يستطيع أن يصدر أحكاما ذات أساس استدلالى تتعلق بطبيعة الإله وأن الصفات التى نخلعها على الإله ليست إلا أسماء تعبر عن عجزنا عن معرفته وعن رغبتنا فى وصفه بعبارات تمجيدية من شأنها إرضاء قوة مجهولة وهكذا يرد هوبس اللاهوت الدينى إلى العاطفة وعنده أن الإيمان بالدين على المستوى الشخصى لا يقوم على إدراك أية حقائق بل إنه خوف الفرد من القوة المجهولة المتوعدة التى ينطوى عليها الكون، أما على المستوى الاجتماعى فالدين فرع من فروع السياسة ، وسلاح فى يد السلطان فى حكمه للمواطنين وعلى هـذا فينبغى عنده أن تكون المسائل المتعلقة بالعقيدة والعبادة وتفسير الكتاب المقدس فى يد الحاكم له أن يقول فيها الكلمة النهائية » وهكذا ينتهى إلى أن الدين ليس إلا تبريرا لغايات الدولة والأشخاص[٢] .

أما اسبينوزا الهولندى (١٦٣٢ — ١٦٧٧) فكان يقول [إن السلطة هى المبدأ الأساسى للحكومة لكن السلطـــة نقيض التسلط والعنف[٣]

(١) المرجع نفسه .
(٢) الله فى الفلسفة الحديثة — جيمس كولنز — ترجمة فؤاد كامل مكتبة غريب ص ١٣١
(٣) الدين والمجتمع — أديب صعب ص ٩٦ — ٩٧

ويرى أن الله منساباً فى الطبيعة متخللا إياها رآه هو والطبيعة شيئاً واحداً ورآه مثلما رأى الطبيعة من حيث اتصافها بالامتداد فأنكر بهذا علو الله — وإرادته — من حيث إن القوانين تعمل فيه كما تعمل فى الطبيعة وهكذا فهناك ضرورات تتحكم فى فعل الإله هى قوانين الطبيعة[1] .

هكذا قدم اسبينوزا إلهه المكبل ؟!

وإذا كان سبينوزا قد أنزل الله من عرشه وأدمجه فى الطبيعة فإن (ليبنتز ١٦٣٨ — ١٧١٥) قد أعلى من قيمة الطبيعة ووضعها بجانب الله وذلك من حيث رده الوجود إلى ذرات روحية لامتناهية[2] وهى أخص صفات الله وخالدة لاتفنى (وهى صفة أخرى لله) ومتحركة بذاتها (وما يعنيه هذا من أن بداخلها أسباب حركتها وعدم حاجتها إلى مسبب يعلوها فى القدرة)

ولا يشفع بعد هذا (لليبنتز) بعد هذا قوله بأن هذه الذرات الروحية صادرة من الله مادام قد وصفها بالخلود واللاتناهى .

ولعل [جوو لوك] فى انجلترا [١٦٣٢ — ١٧٠٤] من أوضح الذين بحثوا فى مضمون العلمانية عندما دعا إلى فصل السلطة المدنية عن السلطة الكنسية ومنع الكنيسة من التدخل فى السياسة وقال :

[ليس للدولة أن تحد من حرية الكنائس إلا من أجل أهداف وطنية واجتماعية أى إذا شكلت هذه الحريه تهديداً للمصلحة العامة إن وظيفة الحكومة هى تأمين سلامة المجتمع وليس فرض الأفكار والعقائد][3]

---

(١) الله فى الفلسفة الحديثة صـ ١٢٢

(٢) د / عزمى إسلام مدخل إلى الميتافيزيقا صـ ٤٨ ط ١٩٧٧ م .

(٣) الدين والمجتمع صـ ١٠٢ أديب صعب .

إن هدف الدولة الحياة الدنيوية وهدف الكنيسة الحياة السماوية ونحن إذ نولد ملك للوطن لا ملك للكنيسة ولا ندخل فيها طوعا .

ولما كان المجتمع المدنى قائماً على صالح الكثير فليس الدولة أن تراعى العقيدة الدينية فى التشريع ولا محل للقول بدولة دينية ويجب على الدولة أن تجيز جميع أنواع العبادة وتدع الكنيسة تحكم نفسها بنفسها فيما يتعلق بالعقيدة والعبادة ووفقاً للقوانين العامة[1] .

لقد شعرت الكنيسة بخطر هذه الأفكار المتحررة وبآثار النهضـــة الأدبية والعلمية بصورة عامة فحاولت التصدى لها والوقوف فى وجهها مما أوقعها فى كثير من الحرج والتناقض وساعـــد على انقسامها وتحرر السلطة المدنية من قبضتها وكانت ردود الفعل السلبية ضد الكنيسة ورجال الدين متوافقة مع مقدار ما كان يظهر منهم من تعصب وجمود ومحاولة استخدام القوة والعنف ضد رجال الفكر والعلماء .

ذلك أن بعض هؤلاء تعرض إلى الموت حرقاً وسجن آخرون ومن بينهم العالم الإيطالى جاليلو ثم فولتير وديدرو من فرنسا وهروب آخرون كجان جاك روسو من اضطهاد رجال الدين .

وفى فرنسا صدر قانون عام ١٧٥٧م يقضى باعدام المؤلفين الذين يحاربون الدين ولهذا اضطر بعضهم لاعطاء كتبهم أسماء مستعارة وإلى الكتابة عليها بأنها طبعت بالخارج ولكن الثورة الفرنسية ألغت هذه الرقابة ونصت فى إعلانها حقوق الإنسان والمواطن على [قدسية مبدأى المساواة والحرية وأنه لا يجوز أن يضايق أحد بسبب آرائه حتى الدينية » المادة ١٠ .

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٤١، ١٤٢ د/يوسف كرم ط١، ١٩٦٢

وكان فردريك الكبير ملك بروسيا قد أعلن عام ١٧٤٠ [أن كل الأديان يجب أن يسمح لها بالعمل فى هذا البلد كل إنسان يجب أن يذهب إلى الجنة بطريقته الخاصة] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى واحد من مفكرى نزعة الشك فى ذلك الوقت [١٦٤٧ — ١٠٨٦]

بيير بيـــل

كان بيير بيل — هذا قد رأى أن الإيمان والمعرفة أمران منفصلان ومتعارضان لا يمكن التوفيق بينهما وعلى المرء بالضرورة أن يختار بين الفلسفة والانجيل لأن الإنسان لا يجمع بين الوضوح والغموض فى صعيد واحد لذا فقد هاجم أى دفاع فكرى عن الإيمان الدينى وعنده أن حقيقة وجود الله لا هى واضحة وضوحاً مباشراً ولا هى قابلة للإثبات كما كان يسعى لتقديم أخلاق علمانية مستقلة عن الدين وعن مذهب الألوهية النظرى .

هكذا يقدم [بيل] مزيجاً شخصياً من الشك النظرى والأخلاق العلمانية[٢]

وفى القرن الثامن عشر كان الكتاب والمفكرون من أكبر المساهمين فى ترسيخ حرية الفكر والاعتقـــاد فالمفكر السياسى [مونتسكيو (١٦٨٩ — ١٧٥٥م) يرى أهمية الفصل بين الأخلاق المسيحية والأخلاق الوضعية مركزا على النزعة القومية وعلى القوانين الوضعية كتشريع للبلاد][١] .

---

(١) الدين والمجتمع — أديب صعب ١٠٤

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة د / يوسف كرم ص ١٩٤

أما الثائر الشهير فولتير [١٦٩٤—١٧٧٨م] فقد كان مؤمنا بضرورة إلغاء التأثير الكنسى من أجل تحرير عقل الإنسان [إن الكتاب المقدس مجموعة من الخرافات والعجائب التى لا يمكن أن يصدقها العقل . .

وأن الحروب الدينية أغرقت أوربا فى الدم وإن لوثر ليس ملحدا بل اعتقد أن الله هو مهندس الكون الذى صنعه وتركه مسرحاً للناس وكان علمانيا سعى إلى حرمان الكنيسة من سلطانها السياسى والزمنى ودعا إلى الزواج والطلاق المدنيين وإلغاء المحاكم الكنيسة وتحرير الأقليات الدينية ويؤثر عنه قوله إننى لا أوافق إطلاقاً على ما تقوله لكننى أدافع حتى الموت عن حقك فى قوله[١] .

أما جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) فقد تحدث عن دين مدنى للمجتمع فى نفس الوقت الذى أنكر فيه المسيحية لفصلها ما هو روحى عما هو سياسى بما يؤدى إليه ذلك من فصل للوحدة السياسية[٢] .

وبالرغم من تأكيد (روسو) على وجود الله وعنايته وعلى الثواب والعقاب فى الآخرة فإنه قد أقام براهين وجود الله والتشريع فى الأخلاق على العاطفة دون العقل وهو بهذا يتجه بالبروتستانتية إلى طريق جديد تعتمد فيه العلاقة بين الله والإنسان على العاطفة وحدها[٣] .

أما دولباك (١٧٢٣م—١٧٨٩م) فقد اصطنع المادية المطلقة وذهب إلى أن المادة متحركة بذاتها وأن كل شىء يفسر بالمادة والحركة وأنهما

---

(١) الدين والمجتمع أديب صعب ص ١٠٦

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة د/ يوسف كرم ص ٢٠٤

(٣) حكمة الغرب ص ١٤٥ — ١٤٦ برتراندرسل ترجمة د/ فؤاد زكريا سلسلة عالم المعرفة عدد ٧٢

أزليتان أبديتان خاضعتان لقوانين ضرورية هى خصائصهما فليس العالم مدبراً بإله .

وكل الأدلة على وجود الله متهافتة ولا توجد غائية فى الطبيعة تؤدى بنا إلى شيء غيرها يفوقها فى الوجود كما كان [دولباك] هذا يتباهى بأنه العدو الشخصى للإله ، وكان يضم فى جوقته خمسة عشر ملحداً وثلاثة من أصحاب العقول المضطربة والذين كانوا يؤمنون بأن الدليل على عدم وجود الله من القـــوة والوضوح بحيث لا يصدق بمذهب الألوهية إلا مأفون أو جبان][1] .

أما فى القرن التاسع عشر فقد استمر الاتجاه نحو النزعة الإنسانية العلمانية وكان أبرزهم [أوجست كونت ١٧٩٨ — ١٨٥٧ م) المعارض للألوهية على أساس أنه ما من شيء يمكن أن يتجاوز عالم الواقع المحسوس فإليه يرجع السبب فى تبرير الإلحاد على الأساس المنهجى على أساس أننا لا نستطيع أن نقرر الواقعية لشيء إلا للموضوعات التى يمكن أن نتحقق من صدقها تجريبيا بالمنهج العلمى وعلى هذا فقد أراد أن يستبدل بعبادة الله عبادة جديدة هى عبـــادة الإنسانية باعتبارها الموجود الأعظم[2] .

ومن الممكن أن نحدد ملامح الفكر العلمانى بفضل كونت على النحو التالى :

أولا : رفض المعرفة الدينية رفضا قاطعا ورفض المعرفة عن التصور

---

(١) الله فى الفلسفة الحديثة ص ٢١٧ ترجمة فؤاد كامل ط ١٩٧٣ م تأليف جيمس كولنز .

(١) الله فى الفلسفة الحديثة ص ٣٣٣ مرجع سابق .

العقل المجرد غير المحكوم بقوانين المادة وكل من المعرفة الدينية والمعرفة العقلية وهم وخداع . . ؟!

ثانيا : المادة المحسوسة ليست مصدراً للمعرفة فحسب بل هي المصدر الوحيد للمعرفة فليس لها في مجال المعرفة منافس قط ؟!

ثالثا : احلال العلم الوضعي المادي المكتسب عن طريق الحواس بواسطة التجارب والملاحظات محل التوجية والعلم الديني لأن القوانين المادية التي تحكم تفاعلات المادة كفيلة بتفسير الحقيقة الكونية وليس للأسباب المباشرة أصول أو علل أخرى تستند إليها ؟!

رابعاً : إن الكون ليس له خالق ولا مدبر فقد وجد وعن طريق الصدفة أو هو خلق نفسه ؟!

خامساً : إن المادة أسبق وجوداً من الفكر والفكر إنعكاس لما توحي به المادة سواء في ذلك العقائد الدينية والتصورات الفلسفية العقلية ؟!

سادساً : تقسيم المعرفة قسمين :

أحدهما : المعرفة التي هي وليدة المادة أو الطبيعة وهي المعرفة الصحيحة عند كونت ومشايعيه من الوضعيين العلمانيين .

والآخر : المعرفة المستفادة من وراء الطبيعة أو الميتافيزيقيا دينية كانت أو فلسفية عقلية وهي معرفة تقوم على الوهم والخديعة والخداع إذ لا موجود حقيقة إلا ما كان له وجود خارج الذهن ويمكن الإشارة اليه حسياً أما المعرفة التي تقوم على ألفاظ لامدلول لها خارج الذهن فهي أشبه ما تكون بالأوراق النقدية التي ليس لها رصيد؟

سابعاً : إن الدين وإن كان له عراقة فى التاريخ فإن تقدمه الزمنى لا يكسبه صفة الثبات والخلود بل هو العكس يطبعه بطابع الشيخوخة وينذر بأن مصيره إلى الإضمحلال والزوال[1] .

دليل أو جست كونت على العلمانية

أستدل كونت على صحه دعواه أن المادة المحسوسة هى مصدر المعرفة الوحيدة والأخير أستدل على هذا بتقسيم تاريخ الفكر الإنسانى منذ نشأته إلى الآن ثلاثة مراحل على حد زعمه .

المرحلة الأولى : الدور اللاهوتى أو الدينى والدور الميتافيزيقى أو التجريدى ، والدور الواقعى أو الوضعى — وهو الدور العلمى — وهذا هو ما يسمى « قانون الدورة الثلاثية » .

فى الدور الأول كان العقل يبحث فى كنه الموجودات وأصلها ومصيرها . معتمداً على الخيال : فالظواهر تحدث بفعل كائنات غير مرئية تختفى وراء الطبيعة المشاهدة كالشياطين والآلهة .

وفى الدور الثانى — دور الميتافيزيقا — نضج العقل وارتقى وتخلى عن الكائنات غير المنظورة ليرجع الظواهر إلى علل خفية مجردة يتوهمها فى باطن الأشياء وهى معان مجردة وبذلك أحل المجرد محل « المشخص » ووضع الاستدلال موضع الخيال واحتلت الملاحظة والمشاهدة مكاناً ثانوياً .

وفى الدور الثالث — الواقعى وهى المرحلة التى بدأت فيها البشرية تستقى المعرفة عن طريق الحواس من المادة المشاهدة وهى مرحلة النضج

---

(١) نقلا عن د/ عبد العظيم المطعنى العلمانية ص ٢٤

والكمال فالعقل لا يهتم إلا بمعرفة الظواهر واكتشاف قوانينها ويقيمها على أساس الملاحظة والتجربة لا من الخيال ولا من الإستدلال وبهذا يهتم العلم بالإجابة عن السؤال : كيف حدث الشيء وليس عن السؤال لماذا حدث)[1] .

وبناء على هذا يكون طور التفكير الديني — لدى كونت يمثل — مرحلة الطفولة للعقلية الإنسانية ويمثل طور الفلسفة الميتافيزيقية مرحلة المراهقة ،

أما دور العلم التجريبي فيمثل طور الكهولة والرشد ومعنى هذا أن أن العقل ورث الدين وأن المعرفة الحسية ورثت العقل والدين معاً وماعدا العلم الواقعي الحسي لا يعد أن يكون خيالا ، وكلاما في كلام .

ويعبر عن ذلك فيرباخ (١٨٠٤ م ١٨٧٢ م) تلميذ كونت وهو أي فيرباخ فيلسوف المانى يقول .

الله كان فكرتى الأولى والعقل كان فكرتى الثانية والإنسان بمحيطه الواقعى هو فكرتى الثالثة والأخير[2] .

فواضح أن فيرباخ يتابع أستاذه فى القول بتدرج البشرية من الدين إلى العقل إلى العلم المحسوس وقد عبر فيرباخ عن المرحلة الثالثة بالإنسان لأن أستاذه كونت قد استخلص من فلسفته الوضعية إحلال العلم المادى محل المعارف الدينية وإحلال الإنسانية فى العبادة والتقديس محل الله سبحانه ؟ !

---

(١) أسس الفلسفة د/ توفيق الطويل ص ١٩٤ — ١٩٥ ط ثالثة

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى ص ٢٨١

يقول فيورباخ (الذى أثر على ماركس فى نظرته السلبية إلى الدين [إن محور الدين ليس الله بل الإنسان وإن الدين من إبتكار الإنسان ونحن لا نجد شيئاً كهذا عند الحيوانات والصفات المميزة للطبيعة الإنسانية هى العقل والإرادة والمحبة هذه الصفات فى كمالها هى المطلق أى الحقيقة القصوى وما الله سوى وهم خلقه الإنسان لنفسه عندما سلط طبيعته على العالم الخارجى[1] .

وعندما أتى (ماركس) اعتبر فيورباخ لوثر الثانى من حيث تحرير الناس من الوهم ولكنه أعطى للجانب المادى والإقتصادى تفسيره للدين فقال (الطبقة الشعبية المسحوقة ابتكرت الله والسماء والحياة الثانية كمحاولة خلاص من وضعها المتخلف وقد عززت الطبقات المستغلة والحاكمة هذا الاعتقاد لحماية مصالحها[2] .

أما فى هذا القرن العشرين فقد استمر الخط الالحادى فى كتابات (سيغموند فرويد) وبعض فلاسفة الوجودية مثل جان بول سارتر الذى قال (إن الإنسان يقرر جوهره عن طريق إختياراته وأفعاله ... وأن الوجوديين يأسفون لعدم وجود الله لأنه لو وجد لكان أساساً للقيم) وهنالك البير كامو الذى (يعجب من المؤمنين بالله كيف أن الههم يسمح بالعقاب ولا سيما عذاب الأطفال[3] .

ويقول جيمس ستيفن : إذا كانت الحياة الإنسانية فى نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست أرى بعد ذلك مادة باقية للدين إذ ما هى فائدته ؟

---

(١) الدين والمجتمع — أديب صعب ص ١١٠

(٢) الدين والمجتمع أديب صعب ص ١١١

(٣) المصدر السابق ص ١١٤

وما الحاجة اليه إننا نستطيع أن نسلك سبيلنا بغيره وإذا كانت وجهة النظر التى يقدمها العلم لا تعطينا ما نعبده فهى كفيلة بأن تعطينا كثيراً مما نستمتع به ونتمناه ؟!

ثم يشير إلى بعض النشاطات ويعقب عليها بقوله (ستبقى سارية فى مسراها كما كانت من قبل دون حاجة إلى الله أو حياة مستقبلة .

وستموت الديانة مع اللاهوت ولكننا كما أسلفت قادرون على أن نعيش عيشة حسنة بغيرها) ؟ ؟[1].

ويلخص (رسل عقائد الوضعيين العلمانيين فيقول:(ليس وراء نشأة الانسان غاية أو تدبير وإن نشأته وآماله وحياته ومخاوفه وعواطفه وعقائده ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة ولا تستطيع مهارته أو بطولته أو فكره أو شعوره أن تحول بينه وبين الموت وجميع ما قام به الانسان عبر الأجيال من أعمال فذة، مصيره إلى الفناء المرتبط بانتهاء المجموعة الشمسية ولا بد أن يدفن جميع ما حققه من نصر وما بناه من مدنية تحت أنقاض الكون » .

ما تهدف إليه هذه النصوص

إن التأمل فى هذه النصوص التى ذكرت عن هؤلاء العلمانيين تشير إلى أن العلمانية إنما هى امتداد للنزعة المادية الملحدة التى لا تؤمن بالخالق ولا تقر بتدبيره فالكون وما اشتمل عليه من ظواهر متعددة من انسان وحيوان ونبات وجماد موجود بالمصادفة وليس وراء هذا الكون المخلوق

---

(١) نقلا عن د/ عبد العظيم المطعنى العلمانية ص ٢٨
(٢) المرجع السابق ص ٢٩

باحكام واتقان ارادة ولا قصد وأن الانسانية قادرة على أن تعيش عيشة سعيدة بلا دين؟! وأن قوانين المادة هى الأصول المفسرة لأسرار الحياة والمحدثة لكل نشاط فيها ولم تبق هذه القوانين فراغاً يملؤه الإيمان بالخالق المدبر وأن فناء الكون ونهايته ستكون نتيجة توقف القوانين المادية لمجموعة الكواكب السيارة التى تلف حول الشمس وليس بعد هذا من كفر أو إلحاد . فهذه هى العلمانية .

الفصل الثالث

نقض وإبطال العلمانية

لم تتعرض فلسفة للنقض والهدم لمثل ما تعرضت له (العلمانية) المنسوبة إلى (العلم) زوراً وبهتاناً والعلم منها برىء ولم يترك العقلاء شيئاً من العلمانية إلا نقدوه وهدموه وكشفوا جهالته وجهالة مبتدعيها وممن نقدها ونقضها علماء لا يتبعون ديناً معيناً ولكن علمهم قادهم إلى الإيمان بقوة خارقة لا يدرك كنهها هى التى بدأت هـذا الكون وكثير من المفكرين — فى الغرب — قد بينوا زيف هذه النظرية ومن أبرز الأدلة على بطلان مزاعم كونت ما يأتى :

١ — أن كونت وأنصاره جعلوا من نظريته قانوناً يستوعب التاريخ كله فى شوط واحد قطعت الإنسانية ثلثيه بالفعل ، ونفضت — أو كادت تنفض — يدها منهما إلى غير رجعة فلن تعود اليهما إلا أن يعود الكهل إلى شبابه وطفولته ولو أنهم جعلوا منه سلسلة دورية كلما ختمت البشرية شوطا رجعت عوداً لكان الخطأ فى هذه النظرية أقل شناعة[1] .

وربما كان تاريخ المعرفة فى الغرب يؤيد ذلك خاصة فى أوروبا حيث حققت للكنيسة ثم للفكر العقلى ثم الفكر العلمانى (فقد كانت معرفة الانسان قبل تفلسف الاغريق ذات طابع دينى ثم أصبحت على عهد سقراط وأفلاطون عقلية ثم مالت بعد ذلك على عهد أرسطو إلى التجربة والواقع (ثم بدأت تجربة أخرى من جديد فاعتبر الدين فى القرون الوسطى

---

(١) الدين د/ محمد عبد الله دراز ص ٨٤ — ٨٥

مصدرا للمعرفة ثم جعل للعقل اعتباره — بدلا من الدين في عصر التنوير في القرن الثامن عشر — ثم قوى الميل إلى اعتبار المعرفة الحسية أو الوضعية وحدها — دون العقل والدين معاً — في القرن التاسع عشر وهذه دورة ثلاثية لا عتبار المعرفة في تاريخ الانسانية فإذا كانت هذه الدورة الثلاثية قانوناً لا يتخلف للمعرفة أو بالأخرى لاعتبار مصدر المعرفة فالمنتظر — بناء على سير التاريخ — أن يعود الاعتبار إلى الدين من جديد بعد أن قويت موجة الواقعية أو الوضعية فيقل اعتبارها وعندئذ يعود الاعتبار في المعرفة للدين وحده كما قال المرحوم الدكتور محمد البهي[1] .

هذا هو منطق التاريخ الذي استخدمه كومت نفسه ولكنه لم يستخدمه بانصاف وتجرد وموضوعية كما هو منطق (العلمية) الذي ينادي به بل كان في أكثر — كما يقول الاستاذ (فندلبند) في كتابه (تاريخ الفلسفة — يقوم على الهوى وعدم المعرفة والحكم المغرض)[2] .

٢ — وهذا الذي ذكرناه مبني على افتراضنا التسليم بوجود أدوار تاريخية ثلاثة متعاقبة والحقيقة أن هذه دعوى لم يقم عليها برهان صحيح بل هي — في اعتمادها على التاريخ — تحرف التاريخ وفي ادعائها الإعتماد على الواقع تصادم الواقع وما ذا يقول فيلسوف الوضعية في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية وفيه ترى الدين والعقل والعلم تنمو وتزدهر وترتقي كلها جنباً إلى جنب فنجد الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتصوفة وبجوارهم الفلاسفة والمتكلمين وإلى جانبهم العلماء من الأطباء والكيميائيين والفلكيين

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث ص ٣٢٣ - ٣٢٥ د/ محمد البهي

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٢٣

والرياضيين بل ربما تجد الشخص الواحد يجمع النواحي الثلاثة فى شخصه كما يتضح ذلك فى سيرة ابن رشـــد الحفيد صاحب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) فى الفقه الإسلامى المقارن وأكبر شارح لفلسفة أرسطو فى تلك العصور وصاحب كتاب [الكليات فى الطب وكثير من علماء المسلمين التجريبيين كانوا فقهاء ومتصوفة[1] . وهذا ماوقع ويقع فى تاريخ الأمم كافة إلى اليوم .

وفى كل عصر نرى ونسمع من يهتم بالروحانيات والبعض الآخر يهتم بالمعقولات الكلية والنظرة التجريدية وغيرهما لايهتم إلا بالحوادث الجزئية ومعرفة الترابط الذى بينها .

ومن الجدير بالذكر أن المرحلة الأولى التى يقولون عنها أنها هى التى يتمثل منها عصر ماقبل التاريخ وبدء العصر التاريخى — قد تم فيه اختراع صناعات عن طريق المشاهدة ومعرفة طبائع الأشياء .

وفى المرحلة الثانية التى بدء منها الدور الفلسفى والذى يقال أنها التى شملت العصور القديمة — قد وجدت فيها مشاهدات فلكية وعرف إقليدس الهندسة وأبقراط الطب وسائر العلوم التجريبية مثل طبيعيات أرسطو وكيمياء العرب (كما ذكر لوبون وبريفولت وغيرهما) .

وفى المرحلة الثالثة — الدور الوضعى — الذى هو طابع العصور الحديثة فيما يقولون — توجد كثرة غفيرة من دعاة الدين والقيم الأخلاقية والتأمل الفلسفى[2] .

٣ — أن هذه المراحل لا يلغى بعضها بعضا بل هى تعمل متجاورة

---

(١) د/ يوسف القرضاوى بينات الحل الإسلامى ص ٣٤ .
(٢) أسس الفلسفة د/ توفيق الطويل ص ٢٠٩ .

متعاصرة فى نفس كل فرد وإن لها وظائف يكمل بعضها بعضا فى إقامة الحياة الإنسانية على وجهها ولكل واحدة منها مجال يوائمها . فى الوقت الذى نفسر فيه الحوادث بأسبابها المباشرة خارجية وداخلية فنقول: هلك فلان بضربة سيف أو الشيخوخة أو المرض لا يزال كل واحد منا يفسر الحوادث الشاذة الخارقة بالقضاء والقدر أو بسبب غيبي مجهول[1] أى مع اعتقاده بالعلم الواقعى الوضعى .

٣ — إن كونت عكس الوضع وهو يجعل من مراحله وصفاً لتطور الفكر الإنسانى كله والحق أن الفكر الإنسانى انتقل من المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية ، ثم المعرفة الدينية وهذه حقيقة تكاد تكون موضع إجماع بين علماء مقارنة الأديان والدليل على ذلك أن الفكر لدى الطفل يتطور من المحسوس المشاهد ثم إلى المعقول ثم إلى المعرفة الدينية وهى أرقى درجة وصلت إليها البشرية وكونت جعل مرحلة المعرفة الدينية أحط المراحل فى حياة الإنسانية يقول الدكتور دراز[2] : أن الأمر على عكس ماذهب إليه (كونت) تماما : إن النظرة الواقعية تقع فى مبدأ الطريق لا فى نهايته وأنها تمثل مرحلة الطفولة النفسية لا مرحلة النضج والكمال ذلك بأن مبعثها الحاجة العاجلة وضرورة الحياة اليومية وبأنها وظيفة الحس لا العقل وبأنها من معدن القابلية والانفعال لا من معدن الفاعلية والإنشاء . أما نظرة التعليل بالمعانى العامة فإنها تنبثق فى النفس على أثر ذلك متى استيقظت ملكتا التجريد والتعميم فى التصورات والأحكام فلا يكتفى الذهن حينئذ بجمع الحوادث المترابطة فى سلسلة متعاقبة كا تجمع الأعواد فى الحزمة بل يحاول ربطها برباط معنوى تدور فى فلكه ويكون كالسلك الداخلى الذى ينظم حبات العقد - بقيت النظرة الروحية أو الدينية وواضح أنها لا تولد

---

(١) الدين د/ محمد عبد الله دراز ص ٨٥—٨٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٦—٨٧ .

فى النفس إلا حينما يتسع أفقها فتتجاوز الكون بظاهره وباطنه إلى ماوراءه، فهى أوسع النظرات مجالا وأبعدها مطلباً)[١] . وبهذا لم يبق لكونت شىء من صواب يتمسك به فى التقسيم أمادعواه بأن الدين مصيره الفناء والزوال فقد أسهم فى هدم هذه الدعوى كثير من مفكرى الغرب أنفسهم وكذا دوائر معارف الغرب .

يقول الفيلسوف الفرنسى سالمون ريناك : (ليس أمام الديانات مستقبل غير محدود فحسب بل لنا أن نكون على يقين من أنه سيبقى شىء منها أبداً ذلك لأنه سيبقى فى الكون دائما أسرار ومجاهيل ولأن العلم لن يحقق مهمته على وجه الكمال[٢] .

وهذا أرنست رينان يقول (إن من الممكن أن يضمحل كل شىء نحبه وأن تبطل استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحى التدين بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضايق الدنيئة للحياة الأرضية)[٣] .

أما الدكتور ماكس نوردو فهو أقدر حجة فيما قال وأكثر ثقة فى بقاء الدين وأعظم تفاؤلا وهذا ماقاله عن الشعور الدينى [هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين كما يجده أعلى الناس تفكيراً وأعظمهم حدسا وستبقى الديانات مابقيت الإنسانية وستتطور بتطورها وستتجاوب دائما مع درجة الثقافة العقلية التى تبلغها الجماعة[٤] .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧ .

(٢) الدين د/ محمد عبد الله دراز ص ٨٧ .

(٣) راجع مادة دين فى دائرة معارف القرن العشرين للمرحوم محمد فريد وجدى .

(٤) المصدر السابق .

ويثبت معجم لاروس للقرن العشرين أصالة التدين وبقاءه فيقول :

إن الغريزة الدينية مشتركة بين جميع الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية . . إن هذه الغريزة الدينية لن تختفي بل لن تضعف ولن تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة يعني الحضارة المادية وعند عدد قليل من الأفراد] .

إن من الظلم البين القول بأن الدين قد ولى الأدبار أو أصبح في خبر كان قربما صح هذا القول بالنظر إلى أوربا في القرن الثامن عشر أو التاسع عشر أما القرن العشرين فيسوده اتجاه قوي للعودة إلى الإيمان والرجوع إلى القيم الروحية أننا نرى رجلا مثل توينبي — أكبر مؤرخي هذا العصر وأحد أقطاب الفكر العالمي يقول عن نفسه أنه من المؤمنين بأن الدين هو أهم ما في الوجود[1] . هذا فيما يتعلق بالنقض الخارجي للعلمانية — أعني الأدلة النظرية — أما نقض الأسس والأصول التي قامت عليها العلمانية فقد أوسعوها نقداً ونقضاً — ولم يتركوا تصوراً واحداً من تصوراتها إلا أبطلوه بالدليل القاطع ونعطي إلى القارئ إشارات مما قالوه :

أولا : قصر المعرفة على الحواس .

يحصر العلمانيون المعرفة على ما تدركه الحواس فقط فكل ما ليس بمحسوس ينكرونه فهم ينكرون الله والملائكة والجن والبعث والجزاء ينكرون كل هذا لأن حقيقة العالم تنحصر في ماديته والعقل ما هو إلا مادة تعكس الظواهر الخارجية والروح ليست جوهراً مستقلا وإنما هي من نتاج المادة .

ونحن المسلمين نرى أن هذه الأفكار هراء لا تقوم على عقل أو منطق لما يأتي :

---

(١) مختصر دراسة التاريخ ج ٣ ص ١٧٣ نقلا عن د/يوسف القرضاوي بينات الحل الإسلامي ص ٤٢ .

١ — لو أنكرنا وجود الله والملائكة والبعث والجنة والنار الخ لمجرد أنها أشياء غير مادية وغير محسوسة لكان معنى هذا إنكار الكهرباء لأنها غير محسوسة والذى يحس فقط إنما هو أثرها .

واذا ما انتقض ولو موجود واحـــد خارق نطاق الحس يؤمن به العلمانيون كما يؤمن به غيرهم أو حتى ينفرد العلمانيون أنفسهم بالإيمان به هذا الوجود الخارج عن نطاق الحواس يهدم الفكر العلمانى هدما كاملا تتداعى معه كل التصورات والمزاعم العلمانية تداعيا لا يبقى لها على أثر .

٢ — وهل يمكن للحواس الخمس أن تدرك وتعرف الأحاسيس الداخلية للإنسان ومشاعره الباطنية ؟ إن شعور الإنسان بالحزن والفرح بالشقاء والسعادة أمر لا يدرك بالحواس الخمس وانما يدرك بشىء آخر هذا الشىء الآخر هو الذى به ندرك وجود الله بجانب الحواس الخمس التى بها نعرف الله بآثاره .

٣ — الحواس ليست بالمقياس الدقيق لتفسير وتقييم الآثار الخارجية كمقياس الحرارة — الترمومتر — المادى فهذه الحواس ترينا القمر بحجم الرغيف كما ترينا التقاء السماء بالأرض أو بالبحر عند خط الأفق[١] .

واذا كانت الحواس ليست بالمقياس الدقيق إذن فهناك مقياس آخر غير الحواس هو الذى به أدركنا وجود الله .

وهل تعتبر عدم رؤية الكفيف — الأعمى — للشمس دليلا على عدم وجودها ؟ إن بعض الناس لا يؤمنون بالله لمجرد أنهم لا يستطيعون رؤيته ونسوا بأن عجزهم هذا ليس دليلا على عدم وجوده إذا علمنا أنهم يؤمنون

---

(١) الإسلام أقـــوى جهاد قلعجى ص ١١٢ نقلا عن دراسات فى الثقافة الإسلامية د / على السالوس وآخرين ص ٢١٣

تماما بالالكترون فنحن فى الوقت الحاضر تؤمن بكيانات لا نعرفها إلا بآثارها كوجود بعض الجزئيات مثل الألكترون والبروتونات فهذه الجزئيات لا يمكن ملاحظاتها[1] .

ومن الموجودات خارج نطاق الحس : العقل والجاذبية والأثير والمصادفة بل إن كل القوانين المادية التى آمنوا بها ما هى إلا كيفيات ذهنية لا تدرك بالحواس والعلمانيون كغيرهم يؤمنون بهذه المعقولات وكان عليهم — حسب منهجهم — ألا يؤمنوا بها لوقوعها خارج نطاق الحس فلم آمنوا بها ورفضوا الإيمان كلية بالحقائق الدينيةالغيبية وكل ماهو وراء الطبيعة فى نظرهم وهم خرافة .

فيلزمهم إذن أن يؤمنوا بنظائر ما تقدم أو يكفروا بها جميعاً وهم فى كلتا الحالتين محجوجون متبر ماهم فيه وباطل .

فإن قالوا : آمنا بالعقل والجاذبية وأمثالها لأننا عرفناها بآثارها الظاهرة فدل ذلك على وجودها قلنا لهم : حسنا فالله إذن موجود وان لم يدرك بحاسة لأن المؤمنين عرفوه بآثارة واتقانه المحكم ولكنكم وقفتم عند الآثار وكفرتم بالمؤثر فضللتم على علم وجهل وايمانكم بهذه الموجودات خارج نطاق الحس يهدم مبدأ كم الذى بنيتم عليه كل تصور علمانى جاهل.

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧

خلق الكون مصادفة

يثير العلمانيون فيما يقولون أن هذا الكون ليس من صنع خالق وإنما وجد مصادفة دون أن يكون للقدرة الإلهية أى تأثير فيه وهم يقصدون بالكون المادة الجمادية ثم يقولون إن الطبيعة هى الخالقة لما بين السماء والأرض من كائنات حية نباتاً وحيوانا وانساناً على حد ماردده داروين فى نظرية التطور الخاص بالكائنات الحية أو العضوية .

ما هى المصادفة :

وهم يعنون بالمصادفة أن الأشياء تم تكوينها على ما هى عليه من الجمال والإبداع والنظام بطريق الموافقة لا بطريق القصد والإرادة والتدبير بحيث لم يكن هناك قصد ولا إرادة ولا تدبير وخلاصة هذه الفكرة : أنه بمرور الزمن الطويل الذى لا يتكلمون فيه إلا بالأرقام الهائلة كمئات الملايين من السنين : عناصر الذرة تلاءمت وتناسبت بمرور ملايين السنين والحياة وجدت خلية على الأرض وبمرور ملايين السنين كانت الحياة على هذه الصورة من الجمال وليس وراء ذلك إرادة هادفة وإنما هى صدف وموافقات تم بواسطتها الكون والحياة وقد أقاموا نظريتهم على أساس من الافتراضات الوهمية والقياسات الفاسدة التى لا يقبلون مثلها لو قالها غيرهم لأنهم لا يؤمنون بغير المحسوس المشاهد .

ونريد أن نناقش هذا الإدعاء على ضوء العلم والعقل لنعرف مبلغه من الحقيقة ومقداره من الصواب .

إن المصادفة إفتراض يرفضه العقل ويرفض أن يجعلها سببا لما يراه فى الأشياء من دقة ونظام ولا يمكن للعقل أن يصدق أن الصدفة قد أوجدت كتابا فى الأدب أو قصيدة شعر أو ساعة دقيقة أو قصرا مجهزاً

منظما لكن أين ما ذكرناه من صور المصادفة المستحيلة بالنسبة لهذا الكون الكبير المتآلف الأجزاء المحير بابداعه وروعة نظامه أين القصر المنيف من إبداع هذا الكون العظيم وأين وحدة الكتاب من روعة خلق الأرض والإنسان والأفلاك وإذا أردت أن تعرف شيئا عن نظام هذا الكون الدقيق فاستمع إلى ما قاله علماء الفلك فى إرتباط أجزاء هذا الكون وروعة نظامه ودقة نواميسه لتستنتج بعقلك هل وجود هذا الكون من قبيل هذه المصادفة العمياء ، أم هو من إبداع الله عز وجل .

وإليك طرفا مما قالوه :

١ — لو أن نسبة الهيدروجين والأكسجين إختلفت فى الماء عما عليه الآن لما كان صالحاً للشرب ولقتل الناس العطش .

٢ — لو كانت قشرة الأرض أسمك مما عليه الآن بمقدار بضع أقدام لامتص ثانى أوكسيد الكربون والأكسجين ولما أمكن وجود حياة .

٣ — ولولا قوانين الحرارة لما تبردت الأرض ولما كانت صالحة للحياة .

٤ — ولولا الجبال لتناثرت الأرض ولما كانت لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة ،

٥ — ولولا أن فى الأرض أرزاقها لما إستطاعت الحياة أن تبقى .

٦ — ولو كانت مياه البحار حلوة لتعفن الماء الموجود فيها وتعذرت بعد ذلك الحياة على الأرض .

٧ — ولو كان الأكسجين فى الهواء بنسبة ٥٠ فى المائة بدلا من ٢١ فى المائة فإن جميع المواد القابلة للاحتراق فى العالم تصبح عرضه للاشتعال لأدنى شرارة وكان فى ذلك هلاك الحياة ولو كانت نسبة الأكسجين ١٠ فى المائة لتعذر أن يكون التمدن الإنسانى على ما هو عليه اليوم .

هذه الظواهر الكونية وغيرها لا يمكن بحال أن تكون مصادفات بل لابد لها من مدبر حكيم يقول الدكتور سابرفنج وليام[١] .

إنى أعتقد فى وجوده سبحانه لأنى لا أستطيع أن أتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الالكترونات الأولى أو الذرات الأولى أو الأحماض الأمينية الأولى والبروتوبلازم الأولى أو البذرة الأولى أو العقل الأول . إنى أعتقد فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطق الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها[٢] .

ويقول الدكتور واين أولت[٣] .

أما النظريات التى ترمى إلى تفسير الكون تفسيراً آليا فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى إلى محض المصادفة فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجوة الله بقصد إكمال الصورة والبعد عن التشويه ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة نجد أن فكرة وجود الله أقرب إلى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولا شك بل إن ذلك النظام البديع الذى يسود هـذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تخبط خبط عشواء[٤] .

---

(١) أستاذ العلوم الطبيعية بجامعة ميتشجان أنظر كتاب الماديه وحدها لا تكفى .

(٢) نقلا عن كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٦

(٣) عضو الجمعية الجيولوجية الأمريكية نقلا عن روح الإسلام د/ طبارة .

(٤) كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٣٣ — ١٣٤

ويتساءل العلامة كريسى موريسون عن سر الحياة وهل هى من صنع المادة فيقول إن المتفق عليه عموماً هو أنه لا البيئة وحدها ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة ولا أى اتفاق فى الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتى بالحياة إلى الوجود[١] .

ويقول :

فالحياة هى المصدر الوحيد للوعى والشعور وهى وحدها التى تجعلنا ندرك صنع الله ويبهرنا جماله وإن كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة[٢] .

إن حدوث الكون صدفة لا يحتم بقاءه ودوامه محتفظا بتنسيقه ونظامه فلماذا انتظم الكون بعدم فرض وجوده صدفة ولم يعروه التعثر والإنحلال وتعمه الفوضى والتسيب كأن تشرق الشمس من المغرب أو تغيب من المشرق ويبزغ القمر تارة بدراً أو أخرى مباشرة هلالا وبصيرا الليل نهارا والنهار ليلا ويلد الإنسان حيوناً والحيوان إنساناً ونحو ذلك مما يشعر بالفوضى والتسيب إذاً فبقاء الكون وإتساقه ملايين الدهور والأحقاب برهان صارخ على إرادة موجده وقصده .

قال الأستاذ (كريسى موريسون) الرئيس السابق لأكاديمية العلوم فى نيويورك : تستطيع بناموس رياضى لا يتبدل أن نقيم الدليل على أن العقل الذى وضع نظام الكون ونفذه عقل مهندس حكيم خذ عشر قروش وأرقها من واحد إلى عشرة ثم ضعها فى جيبك واخلطها ما استطعت ثم حاول أن تخرجها من جيبك دون أن تنظر بحسب ترتيب

---

(١) كتاب الإنسان يقوم وحده ص ٩٦

(٢) المرجع السابق ص ٨٨ .

أرقامها . الأول أولا والثانى ثانياً وهكذا : على أن تعيد كل قرش تخرجه إلى جيبك بعد إخراجه ثم تخلطها جميعاً وتخرج القرش الذى يليه ونحن نعلم أن الاحتمال الرياضى لإخراج القرش الأول أولا هو واحد من عشرة ولاخراج القرشين الأول والثانى بهذا الترتيب هو واحد من مائة وأن الاحتمال الرياضى لإخراج القروش الثلاثة الأول على التوالى هو واحد من ألف وهكذا .

فالاحتمال الرياضى لإخراج القروش تباعا من واحد إلى عشرة يبلغ رقما لا يصدق هو واحد من عشرة ملايين وعلى هذا النمط من التفكير نستطيع أن نقول : إن الأحوال الدقيقة اللازمة للحياة على الأرض تبلغ من الكثرة مبلغا يجعل توالیها المحكم بالمصادفة أمراً مستحيلا[1] .

إن الجامع لما قاله العلماء فى علوم الاحياء والنبات والبيولوجيا هو قول الله تعالى: إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون[2] .

أما ما يزعمه الماديون العلمانيون دعوى سبق المادة على الفكر فهو أيضا هراء .

والمراد بالمادة هنا هى الكون المحسوس والمراد بالفكر العقائد والأخلاق وكل المبادىء والقيم وفى مقدمتها حقائق الدين .

وزعم العلمانيين هنا بأن المادة سبقت الفكر المراد منه أمران :

أحدهما : أن كل فكر وكل عقيدة حتى الإيمان بالله إنما هو إنعكاس وضلال للمادة .

---

(١) مجلة المختار عدد فبراير سنة ١٩٤٧ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩٥

والآخر : أن الفكر والايمان وهم من الأوهام فالله — عندهم — لاوجود له — (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)[1] ويترتب على ذلك أن كل الرسالات المنزلة من عند الله إنما هى وهم كذلك ويفلسف هيوم الاسكتلندى نشأة الإيمان بالله وإنه لم يقم عليه دليل بأن العقل قد يعدل فى معطيات الحواس عن المادة فإذا أدرك العقل معنى [الخير المطلق] أو الحكمة اهتدى إلى فكرة الإيمان بالله ولا يكون ذلك إلا بالخروج عن الخصائص الإنسانية كلها . والمقصود بالإنسانية عند العلمانيين جميعاً هو الواقع المادى الحسى المحيط بالإنسان وقد ألمح إلى هـــذا المعنى فيرباخ الألمانى تلميذ كونت كما تقدم فى ص ٢٩ من هذا البحث .

ويستدل العلمانيون على أسبقية المادة على الفكر بأن الإنسان إذا وقع بصره على شكل مادى كعمارة ضخمة أو سيارة مثلا فإن صورة ما رآه تظل منقوشة فى ذهنه حتى بعد غياب السيارة والعمارة عن بصره والواقع الذى لا محيد عنه أن هذه المقولة من أكذب الأكاذيب وذلك لأن كل شكل أو صورة مادية يحيط بها نوعان من الفكر :

أحدهما : فكر سابق فاعل ، والآخر فكر لاحق منفعل . فالعمارة أو السيارة مثلا سبق كل منها فكر وهى الكيفيه الذهنية التى برزت بعد الفكر الذهنى فى صورة رسم هندسى لتصميم كل من العمارة والسيارة ثم نفذ عملياً ذلك التصميم فكانت العمارة والسيارة على هدى ذلك الفكر هذا هو الفكر الفاعل السابق فى الوجود على الصورة المادية ثم يأتى بعد وجود المادة المصنوعة الفكر اللاحق المنفعل[2] .

---

(١) سورة الكهف ٥

(٢) العلمانية د/عبد العظيم المطعنى ص ٤٦

ويشير الدكتور المطعنى إلى أن العلمانيين يركزون على الفكر اللاحق المنفعل الذى هو كالصدى للشكل المادى .

وهذا هروب منهم من مواجهة الحقيقة . والمعول عليه فى هذا المجال هو الفكر الفاعل وهو بإجماع العقلاء سابق على المادة أما الفكر اللاحق المنفعل فلا وزن له وهذا الكون صورة مادية بلا نزاع وقد تقدم عليها إرادة وتصميم وقدرة منفذة على وفق الإرادة الالهية الحكيمة ونتحدى العلمانيين فرادى ومجتمعين أن يأتونا بمثال واحد لصنعة مادية لم يتقدم عليها فكر لدى صانعها .

وماتخضع له الصناعات المادية الصغيرة يخضع له الكون المادى كله وهكذا ينهار أصل من أصول العلمانية كان — ومازال — أقصر طريق عند العلمانيين إلى الإلحاد ، الذين لم يصدر عنهم صواب قط لا فى قول ولا فى عمل .

وزعمهم بأن الله من انعكاسات المادة بناء على دعواهم أن المادة أسبق وجودا من الفكر . هذا منقوض والدليل على ذلك أن المادة لاتعكس إلا صورة نفسها. فمن رأى مبنى مثلا ثم توارى عنه ظلت صورة المبنى منقوشة فى ذهن رائيه ولا تثير من الفكر إلا مايتعلق بها هى وحدها ولاتعكس المادة صورة المعانى الذهنية المجردة أو الغيبيات فهى إذن لاتعكس فكرة الألوهية على الطريقة التى ابتدعها العلمانيون وإنما توحى بالإيمان بالله عملا بالقانون الكلى الذى يقرره العلماء جميعا وهو : لاشىء من الممكنات يصدر عن لا شىء أو بتعبير علماء العقيدة [كل حادث لا بد له من محدث] .

والعلمانيون أنفسهم يؤمنون بهذا القانون ولكنهم انحرفوا فى تطبيقه فجعلوا المواد الكونية الأوليــة وهى شىء ممكن صادرا عن شىء وهو

المصادفة ليضفوا على أراجيفهم شيئا من المعقولية ثم جعلوا [الطبيعة] خالقة لما على سطح الأرض من كائنات وهم فى الحالتين رفعوا اسم الله ووضعوا المصادفة موضعه مرة والطبيعة مرة أخرى وافترى إثما وبهتانا عظيما .

[علاقة العلم بالإيمان]

العلمانيون يحصرون العلاقة بين العلم المادى والإيمان بأنها علاقة التضاد والتدافع فهم يتصورون إمكان الاستغناء عن الدين والإيمان بالله بالعلم الحديث وهذا تصور خطأ(١).

فالعلم ليس بديلا عن الدين والإيمان بحال لأن مجال العلم غير مجال الدين وأعنى بالعلم هذا العلم بمفهومه الغربى المحدود لا بمفهومه الإسلامى الموسوعى الذى يشمل العلم بالظواهر الجزئية للكون والعلم بحقائق الوجود الكبرى أى ما يشمل علم الدنيا وعلم الدين فليس هو علم المادة وخواصها فحسب بل العلم المتعلق بالكون والحياة والإنسان وخالقها سبحانه وتعالى .

يقول الدكتور القرضاوى :

العلم بالمفهوم الغربى لا يصلح بديلا عن الدين لأن مهمة هذا العلم أن ييسر للإنسان أسباب الحياة لا أن يفسر له ألغازها العلم يعين الإنسان على حل مشكلة العيش ولكن لا يعينه على حل مشكلة الوجود وقضاياه الكبرى ويضرب الدكتور القرضاوى دليلا على ذلك فيقول ، إننا نرى أعظم البلاد فى عصرنا تقدما فى العلم وأخـذا بأسبابه يشكو أهلها ... الفراغ الروحى والقلق النفسى والاضطراب الفكرى والشعور الدائم

---

(١) د/ يوسف القرضاوى بينات الحل الإسلامى ص ٥٣

بالتفاهة والاكتئاب والضياع ونرى شبابهـــا يتقلبون بين شتى البدع الفكرية والسلوكية ثائرين على آلية الحياة ومادية الحضارة وإن لم يهتدوا إلى المنهج السليم والصراط المستقيم .

وهذا هو سر العوج والشذوذ والانحرافات التى لمسها العالم كله فى سلوك أولئك الشباب الحائرين الذين يسمونهم [الخنافس] أو الهيبيين ، وأشباههم ممن ضاق ذرعهم بتفاهة العيش وتمردوا على حضارة الغرب وأن نشأوا بين أحضانها .

ويقارن فضيلته بين رسالة العلم والدين فيقول [إن العلم الحديث محدود الوسع محدود القدرة محدود المجال فى وسع العلم أن يمنح الإنسان الوسائل والآلات ولكن ليس فى وسعه .أن يمنحه الأهداف والغايات وما أتعس الإنسان إذا تكدست لديه الوسائل دون أن يعرف لنفسه هدفا ولا لحياته قيمة إلا أهداف السباع فى العدوان أو أهداف البهائم فى الأكل والفساد ، أما هدف رفيع يليق بمواهب الإنسان وخصائص الإنسان . فلا .

إن الدين وحده هو الذى يمنح الإنسان أهدافا عليا للحياة وغايات كبرى للوجود ويجعل له فيه مهمة ورسالة ولحياته قيمة واعتبارا كما يمنحه القيم الخلقية والمثل العليا التى تحبسه عن الشر وتحفزه على الخير لغير منفعة مادية عاجلة

لقد أعطى العلم الإنسان جناحى طائر محلق فى الفضاء وأعطاه خياشيم حوت فغاص فى أعماق الماء ولكنه لم يعطه قلب إنسان . وحين يعيش الإنسان فى الحياة بغير [قلب الإنسان] تستحيل أدوات العلم فى يديه إلى مخالب وأنياب تقتل وترهب وإلى معاول والغام تنسف وتدمر.

تستحيل أدوات العلم إلى أسلحة نووية وقنابل تابالم وغازات سامة وأسلحة كيماوية وجرثومية تنشر الموت والخراب عند إستعمالها وتشيع الذعر والخوف قبل إستعمالها][1] .

نعم لقد تمكن الإنسان بواسطة العلم أن يصل إلى القمر ولكنه لم يستطع أن يضع يده على سر وجوده وغاية حياته بواسطة العلم .

لقـــد اكتشف الإنسان بالعلم أشياء كثيرة ولكنه لم يكتشف حقيقة نفسه وصل إلى القمر لكنه لم يصل إلى الأمان والسعادة بواسطة العلم جلب من على سطح القمر بعض الصخور ولكنه لم يجـــد هناك ما يخرجه من التعاسة والضياع والقلق فى الأرض يقول الشيخ يوسف القرضاوى .

(أصلح العلم ظاهر الإنسان وعجز عن إصلاح باطنه لم يستطع أن ينفذ إلى تلك [اللطيفة الربانية] المدركة الواعية الشاعرة الحساسة التى إذا صلحت صلح الإنسان كله وإذا فسدت فسد الإنسان كله ألا وهى القلب أو النفس أو الروح سمها ما شئت فهى حقيقة الإنسان !

أعطى العلم إنسان القرن العشرين سلاحاً انتصر به على بعض قوى الطبيعة ولم يعطه ما ينتصر به على نفسه على شهواته وشكه وقلقه وخوفه وتخبطه وصراعه الداخلى والاجتماعى .

لقد تقدم الطب الحديث والجراحة إلى أقصى حدودها فى هذا القرن وبدأ الأطباء يقولون : إن العلم يستطيع القضاء على كل مرض غير الموت والشيخوخة ولكن الأمراض تكثر وتتشعب بسرعة مذهلة ومنها

---

(١) كتاب الأسلحة الكيماوية والجرثومية د / نبيل صبحى نقلا عن د/ يوسف القرضاوى بينات الحل الإسلامى ص ٥٥

الأمراض العصبية و[النفسية] التى هى نتائج وأعراض [التناقض] الشديد الذى يمر به الفرد والمجتمع .

لقد حاول العلم الحديث أن يغذى كل الجوانب المادية فى الجسم الإنسانى ، ولكنه فشل فى تغذية الشعور والأمانى والإرادة .. وكانت حصيلة ذلك جسما طويل القامة ممتلىء النواحى ولكن الجانب الآخر من الجسم — وهو أصل الإنسان — أصبح يعانى من أزمات لا حد لها[1] .

(لقد أكدت إحصائية : أن ثمانين فى المائه (٨٠٪) من مرضى المدن الأمريكية الكبرى يعانون أمراضاً ناتجة عن الأعصاب من ناحية أو أخرى ويقول علم النفس الحديث : أن أهم جذور هذه الأمراض النفسية : الكراهية والحقد والجريمة والارهاق واليأس والترقب والشك والأثرة والانزعاج من البيئة وكل هذه الأعراض تتعلق مباشرة بالحياة المحرومة من الإيمان بالله .

إن هذا الإيمان بالله يمنح الإنسان يقيناً جباراً حتى يستطيع مواجهة أعتى المشكلات والصعاب فهو يجاهد فى سبيل هدف سام أعلى ويغض بصره عن الأهداف الدنيئة القذرة .

إن الإيمان بالله يعطى الإنسان « محركا» هو أساس سائر الأخلاق الطيبة ومصدر قوة العقيدة .. العقيدة التى عبر عنها السير [وليام أوسلر] بقوله : إنها قوة محركة عظيمة لا توزن بأى ميزان ولا يمكن تجربتها فى المعامل .

إن هذه العقيدة هى سر مخزن الصحة الموفورة التى يتمتع بها أصحابها

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦

وأية نفسية محرومة من هذه العقيدة لن تنتهى إلا بالأمراض أقساها وأعتاها .

ومن شقوة الإنسان أن علماء النفس يبذلون كل ما يمكنهم من الجهود فى الكشف عن أمراض نفسية وعصبية جديدة ولكنهم فى نفس الوقت يهملون بذل الجهود للوصول إلى علاج هذه الأمراض .

وهذه الظاهرة تثير شعوراً كئيباً بأن هؤلاء العلماء قد أخفقوا فى الميدان الأخيرة ولذلك أكبوا على الميدان الثانى يسترون خيبتهم ويظهرون بطولتهم أمام العالم وإلى ذلك أشار أحد العلماء المسيحيين قائلا : إن علماء الطب النفسى يبذلون كل جهودهم فى كشف أسرار القفل الذى سوف يغلق علينا كل أبواب الصحة !

فالمجتمع الجديد يسير فى إتجاهين فى وقت واحد فهو يحاول من جهة الحصول على جميع الكمالات المادية على حين يتسبب — لتركه الدين — فى خلق أحوال تجعل من الحياة جحيما إنه يعطيك دواء الشفاء من الفم ويحقنك السم فى العضل[1] .

أن عمالقة العلم التجريبى يذهبون إلى أن العلم المادى من أقوى البراهين على وجود الله ونسوق فيما يأتى نصوصاً لبعض العلماء نقضوا فيها أصول العلمانية الجاهلة وأثبتوا أن التقدم العلمى أضاف أدلة علمية إلى أدلة الوحى على الإيمان بالله :

يقول اسحق نيوتن [لا تشكو فى الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون الضرورة وحدها هى : قاعدة الوجود لأن ضرورة عمياء فى كل مكان وزمان لا يتصور أن يصدر عنها هذا التنوع فى الكائنات ولا هذا

---

(١) الاسلام يتحدى وحيد الدين خان تعريب ظفر الاسلام ص٢٧٧ — ٢٧٩ — نقلا عن بينات الحل الاسلامى د/ يوسف القرضاوى ص٥٦، ٥٧

الوجود كله بما فيه من ترتيب أجزائه وتناسقها مع إختلاف الأزمنة والأمكنة بل إن كل هذا لا يعقل أن يصدر إلا عن كائن أعلى له قدرة وإرادة فالنظر فى هذا النظام — يعنى للنظام الكونى — يدل على وجود حكمة سيطرت عليه](١) .

ويقول . وولتر أوسكار (دكتوراه فى علم الكيمياء) إن كل كشف جديد — يعنى فى مجال العلوم — يدعم إيمان العلماء بالله ويزيد من إدراكهم وبصرهم بقدرة الله فى هذا الكون .

---

(١) نقلا عن د/عبد العظيم المطعنى ص ٥٢ ، ٥٥

الفصل الرابع

العلمانية وموقفها من التشريع

العلمانية لها جناحان أحدهما الالحاد والكفر بالغيبيات من إيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وكتبه إلخ .

والآخر : فصل الدين عن الدولة أو بعبارة أخرى رفض التشريع الديني أياً كان ووجوب الأخذ بالقوانين البشرية الوضعية لأن السيادة في العلمانية للشعب يحكم نفسه بنفسه بما شاء من نظم يضعها البشر متابعين في هذا — جان جاك روسو — الفيلسوف الفيلسوف الفرنسي-١٧١٢-١٧٧٨ م)

التي كانت لآرائه السياسية والتربوية آثار هامة في تكوين المجتمعات الأوربية كما حدث أن سميت كتبه وخاصة كتابه العقد الاجتماعي بانجيل الثورة الفرنسية .

ويمكن تلخيص رأيه في العقد الاجتماعي فيما يلي :

يرى — روسو — أن الإنسان ولد حراً . وأن حالة الفطرة كانت تسودها مساواة طبيعية إلى أن جاء الاجتماع البشري وظهرت مفاسده وعيوبه والتي من بينها الملكية الخاصة ، ولما كان الاجتماع ضرورياً ومن العبث محاولة فضه والعودة إلى الحالة الطبيعية فكل ما نستطيع صنعه هو أن يصلح مفاسده وذلك بأن نقيم الحكومة الصالحة ونهيء لها بالتربية المواطنين الصالحين .

[فمن الوجهة الأولى تعود المسألة إلى إيجاد ضرب من الاتحاد يحمى بقوة المجتمع شخص كل عضو وحقوقه ويسمح لكل وهو متحد مع الكل بألا يخضع إلا لنفسه وأن تبقى له الحرية التى كان يتمتع بها من قبل [1] .

وتحقيق ذلك بأن يتنازل الأفراد جميعاً عن حقوقهم كلها ولكن لشخص معين أو أشخاص معينين وإنما هم يتنازلون أفراداً لمجموعهم كله ، هم يتنازلون لأنفسهم ، ولكنهم يتنازلون باعتبارهم آحاداً لأنفسهم باعتبارهم كياناً جماعياً ، أنهم يتنازلون للإرادة الجماعية التى هى إرادة الكل وبالتالى فإن السلطة السياسية للعقد هى سلطة الجميع لا سلطة فرد أو مجموعة الأفراد [إن الرعايا وصاحب السيادة ليسوا إلا كياناً واحداً منظوراً إليه من ناحيتين [2] :

وأنه بهذا المنطق يمتنع فى نظر — روسو — المعارضة بين الحرية الشخصية وبين السلطة والدولة لأنها قائمة على سلطة المجموع والفرد عندما يطيع المجموع فإنه يطيع نفسه .

وروسو كان يصف النظم والقوانين الدينية وغير الدينية بأنها ذات طابع تحكمى أرضى وليس لها مصدر إلهى بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا فيصف النظم والقوانين بأنها وضعت لحماية طائفة ممتازة من الناس والتغرير بالجهلاء وهذا نص كلامه :

[إن الأفراد الذين سبقوا إلى وضع أيديهم على بعض مساحات من الأرض حدا بهم جشعهم وحرصهم على المحافظة على ملكياتهم إلى أن يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك القوانين والنظم ليخدعوا بها الجمهور ويضللوا بها الفقراء [3] .

---

(١) يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٢٠٣

(٢) الأنظمة السياسية المعاصرة . يحى الجمل ص ٧٠

(٣) نقلا عن د / عبد العظيم المطعنى ص ٥٨

وسرت بعد الثورة الفرنسية إلى كثير من نظم الحكم عدوى سيادة القانون الوضعى والأمة مصدر السلطات وهى بدائل وضعت مكان الحكم بما أنزل الله .

فالعلمانية ترفض العقيدة والشريعة سواء بسواء لقد كان أول تطبيق للعلمانية فى الجوانب التعليمية فى فرنسا مع بداية القرن التاسع عشر ذلك أن نابليون بونابرت اختلف مع الباب بيوس السابع حول علاقة الدولة بالكنيسة الفرنسية وانتهى الخلاف بتسوية ١٥ تموز (١٨٠١) التى نظمت علاقة الدولة فى فرنسا بالبابا وبالكنيسة الفرنسية وبعد أربعة أعوام أعيد الاعتراف بحق البابا القاضى بتعليق تعيين الأساقفة على موافقته أما الأملاك الاكليركية فظلت مصادرة كما أن المعاهد والجامعات الدينية توقفت وانشئت مكانها مدارس وكليات وجامعات دولية علمانية وهكذا حدثت أول بادرة علمانية فى حقل التربية والتعليم[1] وارتضت الكنيسة بالصلوات والنذور والطقوس والركوع فى الهيكل وهيمنت السلطة الحاكمة على النظام المدنى والقوانين الوضعية التى تحكم كل شئون الحياة صار للكنيسة ساعة من نهار الأحد أن تحققت وصار للحياة والمادة والمصنع والملهى والسياسة وسوق المال العمر كله يدير ذلك ويهيمن عليه حكومة لا تعترف للكنيسة بغير الطقوس[2] وسلم رجال الدين بهزيمتهم فقالوا : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله . . وتحررت المجالس الشعبية من الكنيسه ، فقرر البرلمان الانجليزى عام ١٣٠١ م أن ليس للبابا حق التدخل فى الشؤون الداخلية كما قرر مجلس طبقات الأمة الفرنسى عام ١٣٠٢ مثل ذلك ثم تحركت أقلام الكتاب والمصلحين يدعون إلى التحرر من سلطة الكنيسة يوم نجحت الثورة الفرنسية فأعادت رجال الدين إلى كنائسهم

---

(١) العروبة والعلمانية — جوزيف مغيزل ص ١٣ بيروت .

(٢) يوسف العظم المنهزمون ص ٦٤

وأعلنت فصل الدين عن الدولة كما أنتهت سلطة البابا فى ايطاليا وانحصرت فى الفاتيكان بسبب مالاقى منها الشعب الأوربى من ظلم وتعسف[١]

وفى أسبانيا — فى عهد فرديناند وايزبيلا أصبح من حق التاج تعيين رجال الكنيسة وصدرت الأوامر بتحريم استئناف الأحكام التى تصدرها المحاكم الدينية فى أسبانيا أمام المحكمة العليا فى روما[٢] .

---

(١) المذاهب والأفكار المعاصرة د/ محمد الحسن ص ٢٥٨

(٢) التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ص٢٦٨ د/ عبد الحميد البطريق ص ٩٢ ط بيروت وآخر د/ عبدالعزيز نوار

الفصل الخامس

انتقال العلمانية الى العالم الإسلامى

العلمانية دخلت بلاد المسلمين عن طريق التمويه والخداع حيث نسبها أصحابها إلى العلم — ولما كان الإسلام دين يقوم على العلم — انخدع أتباعه بهذا الشعار المزيف وتغنوا به دون أن يشعروا بما وراء اللفظ من تيار ملحد يهدف إلى انكار الدين وتأليه العلم .

يقول الدكتور على جريشه :(قد تشعر الكلمة فى اشتقاقها أنها تعنى رفع شعار العلم ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الإسلام بل انها احدى وسائل الإسلام وبعض أهدافه وهو ما نحسب أنهم قصدوا إليه حين ترجموا معنى الكلمة فى لغتها الأصلية ، ليقع المسلمون فى هذا الوهم[1] .

إن العلمانية ترجمة الكلمة الانجليزيه Seenlarity وهذا اشتقاق من Secuiar وهى مرادفه الكلمة الانجليزية Unreligons أى لاديني أو غير عقيدى ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية[2] .

فالعلمانية مصطلح غربى على سبيل التمويه حيث يظن البعض أن مصدره العلم بينما هو يعنى اللادينية وجانب الخديعة فى هذا التعبير أنه يوحى بأن له صلة بالعلم بينما الحقيقة غير ذلك[3] .

---

(١) د/ على جريشة أساليب الغزو الفكرى ص ٥٩ ود/ محمد شفيق

(٢) المرجع السابق ص ٥٩

(٣) تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة ص ٣٢ الاستاذ أنور الجندى دار الاعصتام

ومن هنا نفهم اعلان البعض عن قيام دولة علمانية أو رغبة البعض فى ذلك ونفهم سر اختيار الكلمة .

ونحس أيضا خبث ترجمة الكلمة إلى لفظ العلمانية ونحس أيضا خبث الذين يستعملون هذا اللفظ دون الكشف عن المعنى المقصود دون صدام المشاعر والاحاسيس[١] .

والعلمانية والتحررية كلاهما مذهبان أو ربيان مناهضان للدين برزا فى القرن الماضى وسرت عدواهما فيما سرى إلى العرب والمسلمين والشرق على وجه العموم حين نظروا بعين الوهم من أعماق ضعفهم إلى الغرب فى ذروة تفوقه فظنوا أن كل ما يصدر عنه حق وجميل ويلتقى المذهبان عند الدعوة الى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ونبذ كل ما لاتدركه التجربة والتحرر من العقائد الغيبية التى هى عندهم ضروب من الخيال والاوهام[٢] .

وكانت العلمانية قد تسربت إلى مصر قلب العالم الإسلام مصاحبة الحملة الفرنسية على مصر وتلقفها محمد على والى مصر وذريته من بعده ثم أخذت تقعد قواعدها وتأسس أصولها فى مطلع القرن الحاضر على يد مصطفى كمال أتاتورك حاكم تركيا فما أن تم له الأمر حتى عمل على تطبيق نظام العلمانية فى الخلافة الإسلامية ونادى بأن تركيا دولة علمانية والغى المنهج الدينى من التعليم وتابع مواريث الإسلام بالمحو والإزالة وكان من تشريعاته القاء القبض على المرأة المتحجبه .. وألغى الآذان باللغة العربية لأنه يذكر الإسلام .

وعمل على تصفية الدين من الدولة ومن المبالغة فى محو معالم الإسلام

---

(١) أساليب الغزو الفكرى ص ٥٩

(٢) اتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر ص ١٩ د/ محمد محمد حسن ط بيروت دار الارشاد

لقب (أتاتورك) عند الكتاب الغربيين بزعيم الاصلاح فى الشرق[١] .

ونجح دعاة العلمانية فى اخضاع بعض الدول الاسلامية لبعض التصورات العلمانية وفى مقدمتها التشريع فما أكثر النظم الوضعية فى ديار الاسلام التى احتفظت بالعقيدة الاسلاميه وكفرت بالشريعة إلا فى أضيق الحدود وكلما التى نادى دعاة (الحل الاسلامى) أمتهم المسلمة بوجوب تطبيق شريعة ربها وأحكام دينها والعودة إلى الإسلام عقيدة وعبادة ومنهج حياة — ارتفعت فى وجوههم أصوات العلمانيين تخوف من هذه العودة الواجبة وذلك التطبيق المفروض فى مجتمع يدين بالإسلام[٢] .

مجالات العلمانية

أبرز الميادين التى تعمل فيها العلمانيه هى :

١ — علمانية التعليم .

٢ — علمانية الاعلام .

٣ — علمانية القانون أما علمانية التعليم . فقد كانت المساجد قبل عهد الاحتلال هى المدرسه وهى الجامعة وكان العلماء يعتبرون التعليم وطلب العلم عبادة وقربى إلى الله عز وجل وفى الحديث . طلب العلم فريضة على كل مسلم[٣] .

وأدرك أعداء الاسلام أن المسجد يخرج العالم الداعية فى وقت السلم والآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وفى وقت هو بنفسه المجاهد فى

---

(١) مجلة منار الإسلام ص ١٩ عدد مارس سنة ١٩٨٥م

(٢) د/ يوسف القرضاوى ص ٧٣ بينات الحل الاسلامى

(٣) رواة ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه ورواه البيهقى فى شعب الإيمان.

سبيل الله الزائد عن حمى الأوطان فحرصوا على أن يكون أبناؤنا من أبعد الناس عن دينهم فما هي الخطة التي سلكوها ؟ ؟

يقول : اللورد كرومر : وهو خريج كليه اللاهوت [إن الطلبة الذين يتخرجون من الأزهر متعصبون فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة من داخـــله لكانت خطوة جليلة وإن تعذر ذلك فيتاح للتعليم اللاديني التوسع والانتشار حتى يقضى على التعليم الديني فاما أن يتطور الأزهر أو يموت[1] .

ثم جاء — المستشرق جب فأكمل الحلقة الثانية بعد كرومر فدعا إلى توسيع التعليم — المدني — اللاديني — باشراف المحتل خاصة في مصر والهند .

ثم جاءت كلمات — القس زويمر — في عام ١٩٣٥م وهو يخاطب المبشرين فقال : لقد قبضنا أيها الاخوان منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع براج التعليم في الممالك الاسلامية وأنكم أنشأتم جيلا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ولا يعرفها ولا يعرف العظائم من الأمور ولا يحرص عليها[2] .

وقد وجد هذا الجيل فعلا في جميع أرجاء العالم الإسلامي ، يهتم بالكرة ويسهر من أجلها في نفس الوقت الذى تسيل فيه دماء المسلمين فلا تحرك له ساكنا ، جيل مشغول بالشهوات ولا هم له سواها .

أما الوسائل التي سلكوها للوصول لهذا الأمر فهي :

١ — حصر التعليم الديني وسحب البساط من تحت قدميه حتى يموت .

٢ — الاهتمام والإشادة بالتعليم اللاديني .

---

(١) فوق اطلال الماركسية والالحاد محمد عبد الله الخطيب ص ٣١

(٢) التبشير والاستعمار د/ عمر فروخ د/ صلاح الخالدى

٣ — جعل الوظائف بأيدى العلمانيين .

٤ — سياسة البعثات للخارج وهناك يصنع المبعوث على الطريقة التى يريدونها فاذا عادتبوأ أكبر المناصب ليعمل من خلالها على التخريب .

٥ — السخرية من المتدينين لاجبارهم على التراجع .

٦ — التعليم المختلط .

٧ — علمانية الاعلام: وإذا كان التعليم فى المدارس والمعاهد يخاطب الآلاف بمناهجه فان الاعلام بشتى وسائله يخاطب الملايين ببرامجه[1] .

وبدلا من أن يكون الاعلام فى البلاد الاسلامية منبر دعوة للخير صار صوت إفساد وصوت عذاب .

٣ — علمانية القانون :

وهذه أخطر ما وصلت إليه العلمانية وقد وصلت إلى هدفها بخبث وذكاء ولقد تدرجوا فى الخطوات حتى انهم حين فكروا فى الغاء الخلافة وابعاد الاسلام عن تركيا . صاروا فى كل عشر سنوات يلغون مادة من الشريعة الاسلامية والنظام الاسلامى بعد أن يمهدوا للإلغاء ثم يستبدلون بها قانونا أجنبيا وفى مصر حين أريد إلغاء الامتيازات الأجنبية اشترطوا ثمناً لذلك إلغاء الشريعة الاسلامية والاستمداد من النظام الغربى الذى يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله وكان ذلك سنة ١٨٨٣م[2] .

---

(١) د/ على جريشة الاتجاهات الفكرية

(٢) نقلا عن الأستاذ محمد عبد الله الخطيب فوق اطلال الماركسية ص ٣٣

أساليب العلمانيين

ولهؤلاء العلمانيين طرقا يستخدمونها فى دعـــم مشاريعهم التغريبية ومحاربة التشريع الاسلامى أنهم يعلنون أنهم مؤمنون ويحترمون جوهر الدين ولكنهم ينشدون الاسلام المستنير (كأننا نطالب بالاسلام المظلم الذى يفصل بين الدين . والدنيا لينطلق العقل فى ابداعه لأن التمسك بالاسلام كمنهج حياة يحول دون ذلك .

ولكن هل يكتمل إيمانهم وهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؟ (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا يوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)[١] .

ويتظاهرون باحترام المقدسات وأن ما ينادون به لمصلحة الدين نفسه (وكأنهم أوصياء على هذا الدين وغيرة منهم على جوهر الدين بعيدا عن السياسة (وهى كلمة حق يراد بها باطل) .

ويعتمدون فى منهجهم على الهجوم على رموز العمل الاسلامى واتهامهم بالارهاب والتطرف وبأنهم يوظفون الدين لتحقيق مكاسب سياسية وبهذا يقيمون حاجزاً من الكراهية وعدم الثقة بالناس وبين هذه الرموز[٢] .

---

(١) البقرة آية رقم ٨٥

(٢) د/ محمد صلاح الصاوى قضية تطبيق الشريعة بين المبدأ ودعاوى الخصوم ص ٨٣ ، ١٨٣

الباب الثاني

الرد على شبهات العلمانيين

الفصل الأول

شبهة أدعياء المعاصرة والرد عليها

للعلمانيين شبهات يسردونها كأنها حجج لا تدحض وهى فى حقيقة الأمر أوهى من بيت العنكبوت وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون[1] .

قال أدعياء المعاصرة : إن الشريعة الإسلامية لا تساير تطورات العصر لأن مصدرها الوحى ولا يملك الناس إزاء نصوصها سوى السمع والطاعة فهى شريعة جامدة لا تلبى حاجات المجتمع وهؤلاء دعاواهم كثيرة ومتفاوتة أقصاها إنكار جانب الشريعة من الإسلام وقصره على جانب العقيدة بالمعنى الضيق[2] .

الرد على هذه الشبهة

أصحاب هذه الشبهة بإنكارهم جانب من الدين يلغون مئات الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام والتى قدرها الإمام الغزالى بخمسمائة آية وخالفه ابن دقيق فى هذا التقدير وقال إن مقدار آيات الأحكام لا تنحصر فى هذا العدد بل هو يختلف باختلاف القرائح والأذهان وبما فتح الله به من

---

(١) سورة العنكبوت ٤١ .

(٢) د/ على حسنين ورقة ثقافية حتى لا تظل الشريعة نصا شكليا ص ٢٣ ، ٣٩ ، الزهراء للإعلام العربى .

وجوه الاستنباط حتى من الآيات الواردة فى القصص والأمثال[1] .

والنصوص فى القرآن والسنة عامة مرنة تضع المبادىء الأساسية التى تقوم عليها حياة الناس بما يفى بالغرض الشرعى المقصود لإصلاحهم واستقامة أحوالهم دون الخوض فى الأحكام الفرعية وجاء بعضها مقروناً بعلته وبهذه النصوص العامة وماجاء فى بعضها من تعليل اكتسبت الشريعة الإسلامية الثبات والخلود وكانت صالحة لكل زمان ومكان ملبية لحاجات البشرية مسايرة لتطورها وإذا كانت أبحاث العلوم الكونية قدأثبتت سنن الله الأبدية فى نواميس الطبيعة بما توصلت إليه من قوانين فى الحرارة والبرودة والماء والهواء فإن نصوص الشريعة الإسلامية العامة الثابتة لتنظيم شؤن الحياة الإنسانية لها من الثبات والأبدية مثل ما لتلك السنن والقوانين الكونية ، لأنها جميعا من الله ،

ومما لا شك فيه أن هناك حقائق واقعية ثابتة لا تتغير فى الكون كنظام الكواكب والأجرام السماوية وقانون الجاذبية وحقائق ثابتة أخرى فى الحياة الإنسانية كالغرائز الفطرية والفضائل الأخلاقية كذلك الشأن فى نصوص الشريعة الثابتة الدائمة فإنها جاءت بمبادىء العدل والمساواة والالتزام بالعقود والوفاء بها وأسس الحياة الروحية والتنمية الاقتصادية والنظام الاجتماعى والتوازن بين الحقوق والواجبات والعقوبات الرادعة فى انتهاك حرمات الكليات الضرورية وسائر القيم الثابتة التى لا يعتريها تطور .

ففى النظام الاجتماعى مثلا . أحلت الشريعة الإسلامية الزواج وبينت أصول عقده ونصت على أهم الحقوق والواجبات المتبادلة بين

---

(١) د/ محمد صلاح الصاوى قضية تطبيق الشريعة بين المبدأ ودعاوى الخصوم ص ٢١٩ القاهرة .

الزوجين فى عشرة الحياة الزوجية وحرمت الزنا وفرضت الحجاب على المرأة سداً للذريعة ومنعاً للفساد .

وفى الحقوق الخاصة بالمعاملات والجنايات والحقوق العامة فى النظم الدستورية والإدارية نصت الشريعة الإسلامية على مبادىء المعاوضات المالية فى التجارة والإجارة والدين والرهن وحرمت الربا وأكل أموال الناس بالباطل وحددت عقوبات الجرائم الكبرى فى الاعتداء على الدين أو النفس أو العرض أو المال أو العقل وأقرت مبادىء الحرية والمساواة والشورى وحق الإمام أو الحاكم أو رئيس الدولة وواجباته وحق الله فى المال وأوضحت القواعد التى تقوم عليها علاقة الدولة الإسلامية بغيرها سلما وحربا ولقد كانت هذه الشريعة أساس التشريع والقضاء والفتوى فى العالم الإسلامى أكثر من ثلاثة عشر قرنا وانضوى تحت لوائها أعراق شتى وامتزجت فيها بيئات متعددة فما ضاقت ذرعا بجديد ولا قعدت عن الوفاء بمطلب ولم تأت نصوص الشريعة الإسلامية بالأحكام الجزئية التفصيلية إلا فيما لا يتغير بتغير الزمان والمكان والبيئة أما ما عدا ذلك فإن نصوص الشريعة جاءت بالمبادىء الكلية والقواعد الصحيحة التى تقوم عليها الحياة وتحقق المصلحة العامة لبنى الإنسان وقلما يقع فيها الاختلاف أو تحتاج إلى التطور لأنها وثيقة الصلة بالفطرة البشرية والمعايير الثابتة فى الحياة الإنسانية وتركت الشريعة الإسلامية النص على جزئيات الأحكام لوسائل التطبيق الاجتهادى حسب المصالح الشرعية والحاجات الزمنية المتطورة وتلك الأحكام الاجتهادية هى التى تخضع للتطور والتغير بسبب تغير مناطها والأسس القائمة عليها أو بسبب تغير اجتهادات المجتهدين فإن المفتى إذا اجتهد فى مسألة لحكم فيها بموجب ما توصل إليه ثم تبدل فيها نظره كان عليه أن يقضى باجتهاده الثانى تبعا لنظره فيما جدوتطور دون أن ينقض الاجتهاد اللاحق ما خالفه من الاجتهاد السابق .

وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قضى فى حادثة بحكم

ثم رفع إليه نظيرها فتبدل اجتهاده وقضى فيها بخلاف قضائه الأول فقيل له فى ذلك فأجاب : تلك على ماقضينا وهذه على ما نقضى)[١] .

وجرت كلمته هذه مجرى الأمثال .

إن الأحكام الأساسية التى جاءت الشريعة الإسلامية لتأسيسها وتوطيدها بنصوصها الأصلية الآمرة الناهية فى الكتاب والسنة هى المبادىء الشرعية التى لا تتبدل بتبدل الأزمان بل هى الأصول التى جاءت بها الشريعة لإصلاح الأزمان والأجيال ولكن وسائل تحققها وأساليب تطبيقها قد تتبدل باختلاف الأزمنة المحدثة .

ومن المقرر فى فقه الشريعة أن لتغير الأوضاع والأحوال الزمنية تأثيراً كبيراً فى الأحكام الفقهية الاجتهادية لأن هدف الشريعة هو إقامة العدل وجلب المصالح ودرء المفاسد وهذه ذات ارتباط وثيق بالأوضاع والوسائل الزمنية وبالاخلاق العامة وعلى هذا الأساس كانت القاعدة الفقهية القائلة : [لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان] ولهذا أمثلته الكثيرة فى الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية منذ عهد الخلافة الراشدة فقد اتفق الخلفاء الراشدون على تضمين الصناع مع أن الأصل أن أيديهم على الأمانة ولكن وجد أنهم لو لم يضمنوا لاستهانوا بالمحافظة على أمتعة الناس وأموالهم وفى الناس حاجة شديدة إليهم فكانت المصلحة فى تضمينهم ليحافظوا على ما تحت أيديهم ولذلك قال على رضى الله عنه فى تضمينهم [لا يصلح الناس إلا ذاك[٢] .

---

(١) أنظر الأشباه لابن نجيم — تحت قاعدة الاجتهاد لاينقضى بمثله نقلا عن الشريعة الإسلامية سلسلة يصدرها اتحاد طلاب جامعة المنصورة ص ٢٤ .

(٢) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة فى بحث المصالح المهلة عند الإمام مالك .

ويقول ابن عابدين الفقيه الحنفى : [إن كثيرا من الأحكام بينها المجتهد على ما كان فى زمانه فتختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان بحيث لو بقى الحكم على ما كان عليه للزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف قواعد الشريعة المبينة على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد لأحل بقاء النظام على أحسن أحكام[١] .

وحين قدم الإمام الشافعى إلى مصر أخذ يدرس آراءه الأصولية والفقهيه السابقة وعدل عن بعضها فكان له بذلك قديم قد رجع عنه وجديد قد إهتدى إليه وأفتى الفقهاء المتأخرون من شتى المذاهب الفقهية فى كثير من المسائل بعكس ما أفتى به فقهاؤهم الأولون لتغير الأحوال فى عصرهم ولا يتعبر هذا فى الحقيقة مخالفة للسابقين من فقهاء مذهبهم فإنه لو وجد الأئمة الأولون فى عصر المتأخرين ورأوا إختلاف الزمان والأخلاق والعادات والأعراف لعدلوا إلى ما قاله المتأخرون[٢] .

ويحدث للناس من الأقضية بقدر ما يجد فيهم من أحداث وإذا كانت النصوص متناهية والأحداث غير متناهية فإن المتناهى لا يحكم غير المتناهى ويخضع تكييف مبادىء الإسلام الثابته فى تطبيقها لمصلحة الجماعة وتطور الزمن .

فالشورى مبدأ من مبادىء الأسلام الدستورية فى نظام الحكم نص عليه القرآن الكريم حيث أمر الله رسوله ﷺ بقوله وشاورهم فى الأمر[٣] .

---

(١) نقلا عن الشريعة الإسلامية ص ٢٥ سلسلة يصدرها إتحاد طلاب جامعة المنصورة .

(٢) المدخل الفقهى العام للشيخ مصطفى الزرقا ص ٥٣٩

(٣) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

ووصف به جماعة المسلمين فى قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم[١] ووقائع الشورى فى حياة رسول الله ﷺ مشهورة ولكن النصوص الإسلامية لم تحدد وسائل وطرائق هذا المبدأ لأن تحديدها يجعلها جامدة فى التطبيق فقد تجد الأمة مصلحتها فى فترة من الزمن إن الحكم الشورى يتحقق بصورة أفضل فى النظام الرئاسى ثم تتغير أوضاعها وتدرك من تجاربها مساوىء هذه الطريقة فتعدل عنها إلى النظام النيابى (البرلمانى) أو النظام الدستورى لأن هذا أصلح لها فأى أسلوب من هذه الأساليب يتحقق فيه مبدأ الشورى الصحيحه وترى الأمة مصلحتهافيه فإنها تأخذ به وهكذا الشأن فى سائر مبادىء الإسلام وقواعدة الكلية الثابته فالإسلام دستور الحياة لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا عالجها وصدق الله (مافرطنا فى الكتاب من شىء[٢] .

---

(١) سورى الشورى آية ٣٨

(٢) الأنعام ٢٨

الفصل الثاني

المحرفون

شبهات وردود :

صدر في الأسواق كتاب عنوانه [الإسلام السياسي][1] الهدف العام من هذا المؤلف هو الترويج لفكرة فصل الدين عن الدولة وعن القوانين التي تنظم أحوال المسلمين وتضبط مجتمعهم وتتيح لهم السعادة في الدنيا والآخرة أي أنه ينادي بالسير في الاتجاه العلماني .

يقول المؤلف ص ٨٨ [وفي الحقيقة لا توجد آية واحدة في القرآن الكريم توجـــه المسلمين إلى اية حكومة سياسية معينة أو حتى تشير إلى النظام السياسي ... فنتيجة لكل ذلك فإن التقرير ... أن جميع النظم السياسية نظم اجتماعية تحكمها الأبنية التاريخية والظروف الواقعية ، والحكومة الإسلامية الحقيقية — بعد حكم النبي ﷺ — هي حكومة الناس .

ويقول في ص ٤٦ [فالأمة الإسلامية على مدى التاريخ هي التي قامت بالتشريع لنفسها من خلال الفقهاء والحكام والقضاة على أساس من عموميات ما ورد في القرآن ومن ثم فإن الفقه الإسلامي [المسمى خطأ بالشريعة الإسلامية هو تشريع الناس للناس حدث على مدار التاريخ الإسلامي كله دون ما أي اعتراض أو إحتجاج .

ويقول في ص ٧٢ [وبعد النبي فإن الحكومة تصبح حكومة الناس يحددونها تبعا لظروفهم] .

---

(١) مؤلفه المستشار محمد سعيد العشماوي سنة ١٩٨٦م .

مناقشة المؤلف المحرف

توجه اليه سؤالا هل الإسلام بعد عهـــد الرسول ﷺ يتغير عن الإسلام فى عهد النبى ومن ثم تتغير الحكومة المسلمة بعد عهد النبى ﷺ.

ما المراد من تشريع الناس للناس وماذا أنت قائل فى قول الله تعالى : شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك[١].

وما رأيك فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا[٢].

وأين تذهب من قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها[٣]

هل الأمة هى التى شرعت لنفسها على مدار التاريخ وبالتالى فان الأحكام الإسلامية فى تشريعات الميراث والزواج والطلاق والنكاح والعتاق والحدود والقصاص هى تشريع الناس للناس ؟

مامعنى الفقه الإسلامى المسمى خطأ بالشريعة الإسلامية أيها الجائر فى حكمك .

وما معنى حكومة الناس؟.

إن معنى حكومة الناس فى متعارف الفقهاء النظم السياسية : أن تكون القوانين التى تحكم علاقات الناس بعضهم ببعض من وضع المشرعين فى الدولة أى من وضع البشر دون التقيد بشريعة سماوية أو دين وبمعنى آخر فإن كل مايراه نواب الشعب الذى يجتمعون تحت قبـــة البرلمان وكل

---

(١) الشورى أية ١٣ (٢) المائدة ٤٨

(٣) الجاثية . ١٨

يستحسنونه يصدرونه فى صورة القوانين التى تطبق على كل أبناء الدولة فتكون الكلمة العليا فى الدولة للبرلمان أو مجلس النواب على اختلاف تسمياته فى دول العالم فالحكم حينئذ يكون للناس وشرع الناس دون التقيد بشريعة سماوية أو وحى منزل من عند الله هل هـــذا ينطلى على الحكومة فى الدولة الإسلامية ؟.

من موبقات حكومة الناس

ومثال حكومة الناس تلك كل الحكومات الموجودة فى الدول الغربية ديمقراطية كانت أم ماركسية وهذه الحكومات تقيس كل الأمور بفلسفة البشر وميزان العقل البشرى مهما اعتراه من نقص أو ميل إلى الهوى واتباع الشهوات فماذا كان من حكومات الناس فى أوربا على سبيل المثال :

لقد أحلوا قومهم دار البوار فى مجال الاخلاقيات ولا أدل على ذلك عما دهاهم فى هذا العصر من طاعون يفتك بهم ألا وهو طاعون العصر [الإيدز] على حين غفلة من أمرهم .

فلقد كادت تزيغ هناك نظرية الحلال والحرام فى المجتمع فى علاقات الإنسان بأخيـــه الإنسان وعلاقة الرجال بالنساء وعلاقات الأسرة بوجه عام

فتحت قبة البرلمان الغربى تناقش القوانين التى تبيح لهم ارتكاب أعمال الشذوذ الجنسى وتصدر التشريعات التى تأمرهم بها أحلامهم كى يأتون فى ناديهم المنكر دون حياء إنسانى أو خجل وأصبح البغاء مهنة حرة أسوة بغيرها من المهن الحرة وعلى سبيل المثال فإن حكومة أسبانيا وهى مثـال من حكومة الناس التى لا تتقيد بدين وشريعة — ولو حملت لافتة المسيحية

أو غيرها — فقد أصدرت تعديلا في قوانينها ألغت به المادتين ٢٤٩ ، ٤٥٢ من قانون العقوبات وهاتان المادتان اللتان كانتا تحرم الخيانة الزوجية[1].

وفي ظل حكومة الناس في قطع متجاورات في أوربا الغربية أسست نوادي للعراة تجمع الداعرين واللاهين وأن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا .

إن حكومة الناس التي ينشدها المؤلف هي التي استعمرتنا طيلة مايزيد على سبعين عاما نهبت ثروات بلادنا وغيرها من البلاد التي استعمرتها بقصد الاستحواذ على خيراتها فهل هذا من دين أو شريعة .

إن الإسلام حين استضاءت بنوره دول العالم الإسلامي لم ينهب حكامه فرداً أو شعبا من الشعوب التي تشرفت بهدايته ولم يكن نور الإسلام استعمارا أو غزوا .

إن حكومة الناس في أوربا الغربية وغيرها حيث لاتقيم وزنا لدين أو تحترم شريعة سماوية صارت كلها تجارب أصاب بنيها من العطش الروحي والفراغ العقائدي ورغم كل الابتكارات والاختراعات التي أفرزتها الحضارة الحديثة في الغرب فبدا عندهم الإنتحار الجماعي وعدم الاستقرار النفسي وشيوع الفاحشة وكثرة اللقطاء وهجران الزواج والاكتفاء باتخاذ الأخدان حتى صار الأولاد غير الشرعيين ينسبون لأمهاتهم ولايدعون لآبائهم وأصبحوا يجمعون بين الأختين فالرجـــل يتزوج امرأة

---

(١) حرية الفكر د/ عاصم أحمد ص ١٢٦ — ١٢٧

ثم يراقص أختها ليلاحق الصباح وهلم جرا . كل هذا رغم التقدم الصناعي[1] .

سمو الإسلام فى نظامه السياسى

لامانع فى النظام السياسى الإسلامى أن تكون السيادة للشعب ولكن الشعب فى النظام الإسلامى غير الشعب فى أى نظام سياسى آخر إن السيادة للشعب المسلم الذى يطبق شرع الله حين يجب أن يطبق ويلتزم أيضاً بأحكام هذا الدين فى كل الأمور التى تعن له والتشريعات التى يصدرها .

فالحكومة فى ظل النظام الاسلامى ليست حكومة الناس بل هى الحكومة التى تلتزم أصلا بالدين شرعة ومنهاجاً تجد فيه كل الحلول لكل مشاكلها التى تعتريها .

وفى مجال الأمور الدنيوية البحتة حيث تطلق للانسان يد التشريع فإنه فى هذا النطاق لا يخالف نصاً من الكتاب أو السنة ولا يخالف روح الإسلام وبهذا تعصم الحكومة نفسها من الزلل والمجتمع من الخلل.

فلو فرض مثلا أن البرلمان فى دولة مسلمة أراد أن يوجد حلا لمشكلة النقص فى اللحوم فإن ذلك لا يكون بإباحة لحم الخنزير بزعمهم أنها تجلب البركة وأن نسل الخنزير أضعافاً مضاعفة حتى فى هذا النطاق وهو أمر دنيوى بحت على ماهو ظاهر يلتزم البرلمان فى الدولة الإسلامية ألا يختار حلا يخالف نصاً من الكتاب أو السنة أو يخالف روح الإسلام .

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨

فالخنازير مثلا حسبما أثبتته الأبحاث العلمية الحديثة تؤدى إلى فقد الغيرة الجنسية عند الجنسين فلا يغار الرجل على زوجته ولا تغار المرأة على زوجها وهذا آذان بخراب الحضارات حين يتعرى الإنسان من الفضيلة ويقع فى مستنقع الرذيلة .

إن نظام الإسلام فى الحكم ليس كهنوتياً أو دينيا بالمفهوم الكنسى بمعنى أن يسيطر رجال الدين فى كل شأن ويكون من حقهم طرد المذنبين أو منح البركات على غرار لبابا فى عرف الكنيسة .

إن أوربا قد أعرضت عن رجال الدين واعتنقت العلمانية أى اللادينية كما أسلفنا بسبب ما تورط فيه رجال الدين فى أوربا من الفساد والعفن حتى وصل الأمر إلى حد الرشا وبيع صكوك الغفران وقتل العلماء ومحاربة أى فرع للعلوم لا يكون منظوراً بمنظار الكنيسة .

إن نظام الإسلام فى الحكم يقوم على تحقيق السعادة للمحكومين فى الدنيا والآخرة بما يقوم عليه من دعائم وهى العدالة وإقرار الحقوق والحريات والمساواة بين أبناء الدولة الواحدة بلا عرقيـــة أو عصبية مسئولية الحاكم عن رعيته ولو كان بينهم غير المسلمين وهو نظام يجلب السعادة للإنسان بما يضمن له من التوازن النفسى والتوفيق بين حاجات الجسد والروح وما يضمنه من أمن المجتمع ومبادىء العدالة ولو كانت فى مواجهة الحاكم نفسه وهو بذلك نظام سام لا يقارن بأى نظام آخر لا يعصم الإنسان من أن يتبع هواه فيردى .

إنه نظام حكم يعبأ بالإنسان والمجتمع والدولة والشعب ورسالته كانت من أجل تكريم بنى البشر فهو يعطى حقوقاً واسعة لا نجدها فى أى نظام سياسى آخر قديم أو حديث حقوق الإنسان تمثل فيه إلتزاماً على الحاكم فى الدواة الإسلاميه .

وقد وردت أسس هذا النظام بصورة عامة ثم تركت لنا التفصيلات التى يصيغها أهل الذكر على مر العصور واختلاف البيئات لتكون مناسبة لظروفنا [ماجعل عليكم فى الدين من حرج] هو نظام إن طبق حقا أشاع السعادة لأنه يشبع حاجات الإنسان المادية والروحية والتى تضمن له سعادة الدارين فى الدنيا والآخرة لأنه من لدن حكيم عليم أدرى بطباع البشر حكاما ومحكومين .

أما النظم الأخرى وهى حكومات الناس مهما بالغت فى إدعاءاتها باحترام حقوق الإنسان أو إدعاء الديمقراطية لا تفتأ فى التخلى عن تلك الحقوق وإعلانها تسخير الإنسان من أجل مصلحة المجتمع كما كانت تفعل الماركسية بشعوبها وهى حكومة الناس ومن ثم فقد راحلوا وهم أصحابها يرجمونها بالحجارة بعد أن أحاط بهم سرادقها ونارها إن نظم الحكم الأخرى شرقية أو غربية وهى حكومات من صنع أيديهم قد أشهرت إفلاسها فى سوق تحقيق المطالب المادية والروحية للانسان وتقديم غذاء البدن والنفس معاً وعلى الرغم من مظاهر الرفاهية المادية الطاغية وسواء فى دول المعسكر الشيوعى الذى ظهرت فيه الخروق والفتوق حتى أذن مؤذن بخرابه وإفلاس المشروع الاشتراكى أو دول المعسكر الغربى الذى راح يئن فيه العمال من اغتيال أصحاب رأس المال لحقوقهم وهضمهم لجهدهم وعرقهم فظهر الاضراب وأصبح حقاً مشروعاً كوسيلة للضغط على أصحاب رؤس الأموال كل هذا ناهيك عن فقدان التوازن النفسى عند أبناء المجتمع فى هذا وذاك وتزايد حالات الانتحار والاكتئاب والإجهاض للنساء أو شيوع أبناء الفواحش وما ينتاب المجتمع من العطش الروحى والفراغ العقائدى .

وهذا كله نتاج حكومة الناس وعدم إلتزامهم فى هذا النظام أو ذاك بشريعة سماوية تحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث فماذا لو كنا قد

أخذنا كما يرى صاحب كتاب الإسلام السياسى] بعد عهـــد النبى ﷺ بحكومة الناس ؟ ! إنا لخاسرون .

إنه بفضل نظام الحكم فى الإسلام وسياسة الإسلام تمتع الأقباط فى مصر مثلا بحقوقهم وحرياتهم كاملة بل أزيد من المسلمين أحيانا بما لم يحصلوا عليه فى عهد الرومان قبل أن تشرق شمس الإسلام على كنانة الله فى أرضه حقاً .فضل من ذلك الدين القيم كان تاريخ الإسلام والمسيحية فى مصر مشرقاً .

وإذا كان المسلمون متخلفين فليس الذنب من الإسلام وإنما العيب فينا وبعدنا عن الإسلام . إن الإسلام دين التقدم والرقى ومن المعلوم فى فقه التاريخ والحضارة أن الغرب قد بنى حضارته على ميراث الحضارة الإسلامية ولكن التقيم الاعلامى الغربى يفرض على أبصارنا غشاوة حتى نصاب دائما بمرض الشعور بالدونية : إن التفاعل الحضارى الذى ننشده يمكن أن يتحقق حين نأخذ الكتاب بقوة ونشعر بمكانة أنفسنا ومكانتنا على خريطة العالم وعبر سير التاريخ دون أن تذوب شخصيتنا فى بوتقة الحضارات الأخرى التى لا تعبأ إلا بالجانب المادى وجده ناسية عمدا أو بإهمال الجانب المعنوى والروحى والعقائدى .

الفصل الثالث

شبهة الرافضين للحل الإسلامى

قال العلمانيون إن الإسلام لا يخرج عن أن يكون معتقدات وعبادات شأنه فى هذا شأن أى دين فمجاله المساجد ولا علاقة له بنظام المجتمع أو نظام المعاملات أو نظام الحكم أو العلاقات الدولية فللناس أن يضعوا لأنفسهم من الأنظمة ما يشاءون حسب ماتقتضيه مصلحتهم ومايستفيدونه من المعرفة الإنسانية المتطورة وإقحام الدين فى تلك الأنظمة يورث الجمود والتخلف ويعوق مسيرة التقدم الحضارى للأمة والحضارة الغربية خير شاهد على ذلك .

وهذه هى دعوى العلمانيين الذين اتخذوا شعارهم :

« دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر » يريدون بذلك الفصل بين الدين والدولة ومحاصرة الدين فى المساجد وعزله عن الحياة وهى دعوى بنيت على قياس باطل فإن أصحابها يقيسون الإسلام على النصرانية فى صورتها الكنسية وقد قرءوا فى التاريخ موقف رجال الكنيسة فى العصور الوسطى من العلم والعلماء وأنهم وقفوا حجر عثرة أمام المعرفة الإنسانية وأعلنوا حربهم عليها ونكلوا بالعلماء أشد تنكيل وساموهم سوء العذاب ولم تنهض أوربا من كبوتها حتى حطمت هذه الاغلال وأعلنت ثورتها على الكنيسة ورجالها وحاصرت الدين وحبسته فى الكنائس وقالت : إن الدين صلة بين العبد وربه ولا علاقة له بتنظيم شئون الحياة .

وقياس الإسلام على النصرانية قياس مع الفارق فإن الإسلام دين عام شامل يتناول جوانب الحياة كلها ويستنفر قدرات الإنسان ومواهبه العقلية فى طلب المعرفة والتدبر فى الكون ويستحثه على الإفادة من كل جديد نافع [الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها[١] .

وقد أظل الإسلام بلوائه أقطار الأرض واحتوى حضارات الدنيا وانتقى منها جوهرها الصحيح وصاغها صياغة إسلامية مهتدية وأضاف وابتكر وأبدع .

وحركة الفصل بين الدين والدولة فى عالم الغرب كانت وليدة الصراع العنيف بين العلماء ورجال الكنيسة فأقصت الحضارة الغربية الدين عن الحياة وجلبت بذلك الشقاء على أبنائها ثم على العالم الذى حذا حذوها ، وهذه هى انتكاسة الحياة البشرية .

وجاء الفكر الماركسى فزاد الطين بلة وأعلن حربه على الأديان وكفره بعالم الغيب وجحوده للأخلاق وجعل الجماهير الواقعة تحت حكمه قطيعاً من الماشية البشرية مسلوب الإرادة محروما من المثل العليا التى يتطلع إليها كل مجتمع كريم .

والإسلام دين العلم وآيات القرآن تخاطب القلب والعقل معاً والعلم من فرائض الدين وينص علماء المسلمين على الواجب وجوباً عينيا الواجب والعلم وجوباً كفائياً ويجعلون من الواجب الكفائى العلم بالمعارف والصناعات التى تسد حاجة الأمة كالطب والرياضة والفيزياء والكيمياء ، والفلك ، والحياكة والنجارة والحدادة وسائر ما يحتاج إليه الناس من صناعة تختلف من عصر لعصر ورافق العلم دور العبادة فى مساجد الأمصار الإسلامية

(١) رواه الترمذى .

فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وغرناطة كان المسلمون يؤدون الصلوات ثم تعقد الندوات العلمية وحلقات الدرس فى العلوم الدينية والعربية والطب والكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم والمعارف وهذا برهان ساطع على أن الحضارة الإسلامية واكب فيها الدين العلم مواكبة فعالة لأن الإسلام دين ودنيا أو عقيدة وشريعة وإنما يشرع الله الدين لعباده ليصلحوا به دنياهم حتى تستقيم لهم آخرتهم وفى الوقت الذى كانت فيه أوربا تغط فى سبات الجهل وترسف فى اغلال الظلم وكانت تنصب المشانق لقتل العلماء الذين يخرجون على سلطان الكنيسة فى هذا الوقت الذى يسمى بالقرون الوسطى كانت الحضارة الإسلامية فى أوج عظمتها تزهو بعلومها ويشع منها نور المعرفة فى كل مصر وما كان للغرب أن ينهض من كبوته ويستيقظ من غفلته لولا احتكاكه بالحضارة الإسلامية عن طريق القسطنطينية وصقلية والحروب الصليبيه شرقا وعن طريق بلاد الاندلس غربا .

وقد نبغ علماء الإسلام فى شتى ضروب المعرفة وترجمت مؤلفاتهم واتخذها الغرب أساساً للدراسات فى جامعاته قرونا عديدة إلى بدايه القرن التاسع عشر الميلادى ثم بنى عليها وجدد يقول غوستاف لوبون، ظلت ترجمات كتب العـــرب ولا سيما الكتب العلمية المصدر الوحيد تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمسة قرون أو ستة قرون[1] .

لماذا يرفض العلمانيون تحكم الشريعة ؟

من الممكن أن نحصر الاسباب التى من أجلها يرفض العلمانيون تحكيم الشريعة فيما يأتى :

توجيه الطعون للتشريعات الإسلامية بدعوى عدم صلاحتها للتشريعات

---

(١) من روائع حضارتنا د. مصطفى الساعى ص ٤١

الإسلامية ذاتها قد تجاوزتها - بزعمهم ظروف الزمان والمكان فلم تعد فى منظورهم صالحة لحكم العصر وذلك لأن النصوص الدينية ثابتة والحياة الدنيا متغيرة ولا سبيل لتحكيم الثابت على المتغير !!

والعلمانيون وإن حرصوا على أن يتواروا بذلك حينا من الدهر إلا أنهم قد أسفروا عن ذلك مؤخرا وتواصوا بالجهر بالدعوة وتصعيد الهجوم مباشرة فى المرتكزات التى تقوم عليها أبنية الخصوم .

ففى الندوة التى عقدت لمناقشة التطرف السياسى والدينى ونشرتها مجلة فكر فى عددها الصادر فى ديسمبر سنة ١٩٨٥ تواصوا فيما بينهم بضرب المرتكزات الأساسية التى تنطلق منها الاتجاهات التى تنادى بتطبيق الشريعة والتأكيد على صلاحيتها ومما جاء فى هذه الندوة كلمة د. محمد نور فرحات قال فيها (أحد المرتكزات الرئيسية للتأثير فى الاغلبية الصامتة (الجماهير) هو ضرب المرتكزات الأساسية التى تنطلق منها هذه الاتجاهات الدينية، وأهم هذه المرتكزات قولهم : إن هناك نصوصا ثابتة صالحة التطبيق فى كل زمان ومكان فإذا ألقينا الضوء على هذه النصوص وبينا أنها متغيرة تتغير باختلاف الزمان والمكان سنكون قد خطونا خطوة كبيرة[١] .

ويقول د . فؤاد زكريا فيلسوف العلمانية فى مصر: (من أهم عناصر الحل إزالة حاجز الخوف الذى لا يجعلنا نفصح بوضوح عن مواقفنا بكاملها تجاه هـذا التيار المتطرف ، إن بعضنا يخشى استخدام كلمة علمانية وهى ليست مخيفة . يجب أن نكتب بوضوح مثلا فى صلاحية

---

(١) تهافت العلمانية فى مناظرة نقابة المهندسين بالاسكندرية د. صلاح الصاوى ص ٢٠

الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان . أى أى نقول أنه ليس هناك فى أمور البشر قاعدة من هذا النوع[1] .

وفى كتاب الصحوة الإسلامية فى ميزان العقل ص ٣٠ .

يشير المؤلف إلى هذه المسألة عند مناقشته لما سماه إشكالات الصحوة الإسلامية فيقول : يرتكز الداعون إلى الجمع بين الدين والدنيا ومن ثم بين العقيدة والسياسة على مبدأ صلاحية النص الدينى لكل زمان ومكان وهذا المبدأ فى ذاته يولد تناقضا أساسيا عند تطبيقه على القضية التى نقوم الآن بتحليلها ، ذلك لأن الدنيا بطبيعتها متغيرة وأحوال المجتمع والانسان والسياسة لا تكف عن التطور وهذه فى نظر أى إنسان لديه الحد الأدنى من الثقافة العصرية بديهية لا تناقش فكيف يمكن التوفيق فى هذه الحالة بين مبدأ سريان النص على كل زمان ومكان ومبدأ الإسلام دين ودنيا إذا كانت الدنيا لا تكف عن التغير والتغير معناه أن ما يصلح لها فى زمان معين ومكان معين قد لا يصلح فى زمان ومكان آخرين ؟

ويؤكد على هذا المعنى فى كتاب آخر هو الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة فى ص ١٢ ، ١٥) قال (أما العبارة الثانية التى يختلط معناها فى الأذهان فهى صلاحية أحكام الشريعة لكل زمان ومكان فأنا أشك كثيرا فى أن يكون هناك نص دينى مباشر يحمل المعنى الذى تفهم به هذه العبارة لدى القائلين بها . وأعتقد أن التفكير فى هذه العبارة بشىء من التعمق يكشف فيها عن تناقضين أساسين :

الأول : يرجع إلى أن الانسان كائن متغير ، ومن ثم ينبغى أن تكون

---

(١) نقلا عن المرجع السابق ص ٢٠ تأليف د. فؤاد زكريا

الاحكام التى تنظم حياته متغيرة ، والحق أن تغير الانسان حقيقة أساسية لا يستطيع إنسان يحترم عقله وعلمه أن ينكرها وحقيقة التغير هذه تحتم أن تكون القواعد التى يخضع لهــا متغيرة بدورها فالعقل البسيط والمباشر يأبى أن يكون هناك فى المجال البشرى ما يصلح لكل زمان ومكان .

ويواصل كلامه فيقول : والتناقض هنا يكمن فى أن أصحاب هذا الفهم يؤكدون فى الوقت ذاته ، أن الله قــد استخلف الانسان فى الأرض وكرمه على العالمين فهل يتمشى هذا التكريم والاستخلاف مــع تحديد المسار البشرى مقدما ، ووضع قواعد يتعين على الانسان ألا يخرج عنها مهما تغير وتطور .

ثم يقول : إن قضية الصلاحيه لكل زمان ومكان تحتــاج إلى إعادة تفسير شامله فى ضوء تلك الحقيقة التى أصبحت الآن من بديهيات العقل والعلم : وهى أنه فى الميدان البشرى لا شىء ثابت أو نهائى .

وينقل لنــا الدكتور صلاح الصاوى مقابلة مع الدكتور فؤاد زكريا وسئل الدكتور فؤاد عن المقارنة بــين الحدود الشرعيه وبين السجن كعقوبة وضعية بديلة وما أدى إليه من آفات خطيرة ؟

فكان ممــا أجاب به يومئذ : أنا أقول إن العقوبات الحالية ليست مثالية ، ولكن البديل اللى انت تقترحه ليس أفضل بأى حال !! بل استهل اجابته على ذلك السؤال بقوله : أنا لا أعتقد — مشيرا إلى الحدود — أنها عقوبة عادلة ! [1] :

---

(١) تهافت العالمانيه د . صلاح الصاوى ص ٢٢ .

وفى كتابه الحقيقة والوهم ص١٥٣ يتساءل فيقول : وهل تقبل ضمائرنا أن نساوى بين المال الذى سرق بدافع الحاجة الشديدة والذى هو فى نهاية الأمر متاع زائل يذهب ويجىء وبين جزء أساسى فى كيان الإنسان وعنصر جوهرى من عناصر كرامته وآدميته ؟ !

ونحن بدورنا نوجه تساءلنا للدكتور فؤاد من الذى يزعم من المسلمين أن من يسرق بدافع الحاجة الشديدة تقطع يده ابتداء حتى يوجه مثل هذا الإعتراض بإنفعال ويوجد مجال للمقارنة بين البدن وبين المال ؟ !

هل ينسى الدكتور ما فعله عمر بن الخطاب عام الرمادة من إيقاف العمل بحد السرقة بسبب الحاجة الشديدة الحقيقية يومئذ ؟ !

أليست هذه هى المغالطات والمكابرة بدون وجه حق .

وفى نفس الكتاب ص١٠ يتكلم عن انحرافات التطبيق وما قد يعلل به دعاة الحل الإسلامى بأن هــذا سوء تطبيق لا يمس الجوهر يقول : سيقولون مرة أخرى إن هذا سوء تطبيق لايمس الجوهر ولكن إذا كان الجوهر قد ظل غير متحقق طوال معظم فترات التاريخ ألا يدعونا ذلك إلى الشك العميق فى إمكان تحققه فى عصرنا الحاضر؟ بل ألا يدعونا ذلك إلى الشك فى قدرة هذا الجوهر على التأثير فى المسلمين بوجه عام مادام الطابع الغالب على سلوكهم طوال التاريخ هو الإبتعاد والإنحراف عنه؟ .

وأضح أنه يقرر الشك فى قدرة هذا الجوهر [القرآن والسنة] على التأثير فى المسلمين بوجه عام وهكذا يتم التشكيك فى الإسلام كله نصوصاً وتاريخاً بمثل هذا التساؤل[1] ؟؟

---

(١) تهافت العالمانية د/ صلاح الصاوى ص ٢٢

ويقول أيضاً فى كتابه الصحوة الإسلامية ص ١١٦ وهو يتكلم عن حقوق الإنسان فى الإسلام وما حدث من تراجعات فى تطبيقها على مدار التاريخ الإسلامى (ومهما قيل إن هؤلاء الحكام خالفوا الأحكام الأصلية للشريعة وخرجوا عنها سيظل من حق المرء أن يتساءل: لماذا كان التطبيق فى الغالبية الساحقة من الحالات متجاهلا لتلك الأحكام الأصلية ومضاداً لها ؟.

أليس السبب الحقيقى فى ذلك هو أن تلك الأحكام لا تحمل فى ذاتها طريقة عملية لتطبيقها ، ولا جزاءات دنيوية ملموسة على مخالفتها ، وإنما اعتمدت على الحس الدينى للحاكم فحسب؟.

ويتحدث أيضاً فى ص ١٧ عما زعمه من اتصاف الفكر الدينى المعاصر بنظرة خاصة إلى الزمان تتجاهل البعد الرئيسى فيه وهو الحاضر لحساب البعدين الآخرين الماضى والمستقبل، ثم ذكر أن هذه النظرة الجامدة إلى التاريخ (تسقط من حسابها قروناً عديدة من التغير والتطور وتبسط الأمور تبسيط مخلا حين تتصور أن الأسس التى أصلحت حياة أمة منذ خمسة عشر قرناً هى ذاتها التى يمكن أن تصلح حياتها الآن!!)[١].

من الواضح أن الدكتور يشكك فى الأصول أعنى الأسس ويقصد بذلك محكمات القرآن والسنة وأصولها القطعية) التى أصلحت حياة الأمة منذ نزل الوحى على قلب رسول الله وهو يرى أن هذه الأصول لا تصلح لتصحيح حياة الأمة الآن .

وفى محاورة مع الدكتور فرج فودة سئل : وسط الفساد الأخلاقى الذى يسود العالم ويتسرب إلينا فى مصر ونراه حولنا فى تدهور

---

(١) الصحوة الإسلامية د/ فؤاد ذكريا ص ١٧

الأخلاقيات والمعاملات .. أليس من الأفضل أن يكون لجمهرة الناس دين يسترشدون به إلى الصواب وينتهون به عن الخطأ ..؟!

فكان في جوابه : أنا أرى أن حجم الإنحلال الموجود في المجتمع المصري أقل بكثير اليوم على مدى التاريخ الإسلامي كله، ورأي أن القانون الوضعي يحقق صالح المجتمع في قضايا الزنا مثلا أكثر مما ستحققه الشريعة لو طبقت)[١] .

وفي كتاب الحقيقة الغائبة يقول :والنتيجة ببساطة أن القانون الحالي يعاقب على جرائم يعسر على الشريعة أن تعاقب عليها ويعكس احتياج المجتمع المعاصر بأقدر مما تفعل الشريعة[٢] .

وفي محاورة أخرى أجريت معه بتاريخ ٢٩ / ٧ / ١٩٨٩م سئل عن وضع المرأة في المجتمع المعاصر ووضعها الأمثل من وجهة نظره فأجاب : الإسلام في جوهره أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ومعروف عصر الرسول يختلف جملة وتفصيلا عن معروف عصرنا وضع المرأة في عصر الرسول مختلف عن وضعها الآن أستطيع أن تستدل على هذا بعشرات النصوص والأقواس:المرأة الآن مساوية للرجل وتخرج معه وهي شريكة ويجب أن ينعكس هذا على القوانين بصرف النظر عن أي اعتبارات أخرى ومصالح الوطن هو الذي يفرض القوانين الرؤية الفقهية الاجتهادية لوضع المرأة رؤية شديدة التخلف لا تخرج عن النظر إلى المرأة من خلال نصفها السفلي فقط ، وهذا شيء محزن ومفزع ... إلى أن قال : من يقول

---

(١) حوار حول قضايا إسلامية لإقبال بركة سنة ١٧٨—١٧٩ نقلا عن د/صلاح الصاوي تهافت العالمانية ص ٢٤

(٢) الحقيقة الغائبة ص ١٢١ نقلا عن المرجع السابق .

إن المرأة إذا تعطرت زنت ؟ تعطرب زنت فى مناخنا الحار ؟! الأفضل أن تشم رائحة عرق إبطها بدلا من أن تتعطر الجمال أصبح هو المرفوض والقبيح أصبح هو المقبول[١] .

ولاشك أن الإسلام يحافظ على المرأة من أن تخطفها الذئاب البشرية والوقاية خير من العلاج كما يقولون . والاسلام يطالب المرأة بالتزين لزوجها .

أما الدكتور فيريد من المرأة أن تكون كلأ مباحاً لكل شارد ووارد .

وفى محاورة مع الدكتور خلف الله بمجلة روز اليوسف سئل: أليس القرآن لكل زمان ومكان ؟ .

فأجاب : القرآن لكل العصور ولكل الأزمنة فيما يخص المعتقدات الدينية والعبادات وليس فيما يخص المعاملات فى هذه لا تأخذ منه سوى المبادىء العامة ، فالمعاملات تخص علاقة الإنسان بالإنسان ومادام يتطور فلابد أن تتطور هذه المعاملات لتتفق مع تطور الناس[٢].

ويكتب أحمد عبد المعطى فى جريدة الأهرام مقالا بعنوان شرف البنت شرف الأمة يقول ومع هذا فإن الحجاب أن أخذ على أنه زى من الأزياء ترتديه من تشاء حرة وتخلعه إن أرادت كريمة موفورة !!

فليس لأحد أن يعترض لأنه عندئذ ذوق خاص وحرية شخصية لامجال للتدخل فيها مثله مثل البنطلون والجوب والمينى جوب(!!)،

فإن أراد بعضهم أن يخص المحجبات بالفضيلة ، ويقرن الرذيلة

---

(١) الحقيقة الغائبة نقلا عن المرجع السابق د/ فرج فودة .

(٢) روز اليوسف ١٩٨٩/٥/١

بالسفور قلنا له اخطأت يامولانا !! فأكثر نساء الدنيا سافرات ولايدعى أحد أن الفساد الموجود فى البلاد الأخرى معدوم الدنيا ، بل إن أكثر النساء المصريات وخاصة فى القرى سافرات وهن ورجالهن أشد حياء وأكثر استقامة.

والذى يريد أن يفرض الحجاب فرضاً على المرأة المصرية التى تحررت منذ قرن ظالم لأنه يظن أن المرأة فاسدة بطبعها وأنها هى التى تغويه والحقيقة أن الشيطان هو الذى يتلبس جسده وينطق فى فيه !!

ولاشك أن للسفور مساوىء لكنها أقل قطعاً من مساوىء الحجاب والنقاب !! وشبيه بمن يدعونا للعودة إلى الحجاب من يدعونا للعودة إلى ركوب النياق والحمير والبغال ! لأن بعض السيارات تنقلب ، وبعض القطارات تتصادم وبعض الطائرات تسقط[1] .

ويعلق الدكتور صلاح الصاوى على هذا بقوله أنها عقلية عصور الإنحطاط التى استيقظت فجأة على أثر النكبات التى حلت ببلادنا فأفسدت علينا حياتنا وأفسدت علينا أحلامنا . وأفسدت علينا شبابنا الذين لجأ بعضهم إلى الإرهاب وبعضهم إلى المخدر وبعضهم إلى الجريمة.

وواضح أن هذه الشبهات تحمل فى طياتها ما ينقض عرى الإسلام ومن الممكن الرد على هذه الشبهه — عدم صلاحية الشريعة . من منظور عقدى لايملك أحد يؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه إلا أن يقبل به ، فنقول وبالله التوفيق .

إن الدين — أى دين إنما يوحى به إلى رسله لاصلاح القلوب بالعقيدة الصحيحة وإقامة الحياة على المنهج الإلهى السديد وتوجيه الناس إلى الخير

---

(١) جريدة الأهرام ١٩٩١/٤/١٥ م

والفلاح والأخذ بيدهم إلى الفوز في الدار الآخرة ولكن بعثة الأنبياء السابقين على رسولنا محمد ﷺ لم تكن عامة فكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة ولم تكن أبدية خالدة بل كانت لفترة خاصة فلم تتجاوز أصول العقيدة والعبادة والإخلاق إلا في اليسير مما تدعو إليه الحاجة من شئون الحياة ولا سيما ما جاء في رسالة موسى عليه السلام فيما يتعلق بالمعاوضات المالية ومعاقبتهم على التفريط منها .

يقول تعالى : (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً)[١] .

وفي الإنجيل بقوله تعالى : (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه)[٢].

أما رسولنا محمد ﷺ فقد ختم الله به النبيين (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[٣] .

وكانت رسالته إلى الناس عامة لا لقوم دون قوم أو جنس دون جنس جنس أو وطن دون وطن (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)[٤] .

وفي الحديث [كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة][٥] .

---

(١) سورة النساء الآيات ١٦٠ — ١٦١
(٢) سورة المائدة ٤٧ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٤٠
(٤) سورة الفرقان آية ١
(٥) متفق عليه .

لجاءت رسالته بحاجات البشرية كلها فهى عقيدة وعبادة وتشريع وخلق ومنهج متكامل للحياة ولن يأتى بعدها رسالة أخرى فجعلها الله صالحة لكل زمان ومكان تساير التطور فى كل عصر وتستجيب لمطالبه التى يصلح بها أمر الحياة الإنسانية .

وصلاحيتها لكل زمان ومكان من المعلوم من الدين بالضرورة وقد انعقد عليها إجماع السابقين واللاحقين من المسلمين وهى تعتمد على أن هذه الشريعة هى الشريعة الخاتمة التى نسخ الله بها ما قبلها من الشرائع وأوجب الحكم بها والتحاكم إليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الفصل الرابع

المتحججون

بغياب النموذج المحرفون للتاريخ :

من شبهات العلمانيين شبهة الطعن فى التطبيقات الإسلامية على مدار العصور وهذا بدوره محور آخر من محاور الرفض لشريعة الله وهو الذى يسميه الدكتور فرج فوده : حجة التاريخ فالتاريخ الإسلامى عندهم صفحة قاتمة السواد والتطبيقات الإسلامية على مدى القرون ليست إلا دليلا على عدم صلاحية الشريعة لإقامة المجتمع المنشود . يقول الدكتور فرج فودة فى مناظرته بمعرض الكتاب [حجتنا الثانية هى حجة التاريخ والتاريخ ذو شجون ألف وثلاثمائة سنة واحد بالمائة فيهم بناصر الدولة الدينية و٩٩٪ بناصر الدولة المدنية وهى التى ندعو إليها)[1] .

والدكتور فؤاد زكريا فى كتابه الحقيقة والوهم ص ١٧٣ — ١٧٤ يقول : إن التجارب المعاصرة فى تطبيق الشريعة كانت كلها فاشلة بل إنها أسفرت آخر الأمر عن نظم فى الحكومة مضادة لما تدعو إليه جميع الشرائع السماوية لا الإسلام وحده من خير وعدل .. إلى أن قال : هذا عن التجارب المعاصرة أما التجارب التاريخية فلم تكن إلا سلسلة طويلة من الفشل إذ كان الاستبداد هو القاعدة والظلم هو أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم والعدل والإحسان والشورى وغيرها من مبادىء الشريعة لاتعدو أن تكون كلاما يقال لتبرير أفعال حاكم يتجاهل بتجاهل كل ماله صلة بهذه المبادىء .) (ولايشفع للشريعة لدى القوم أن يقال : إن سوء التطبيق لايمس الجوهر

---

(١) الحقيقة الغائبة فرج فودة .

أو إن هذه أعمال المسلمين ولا صلة لها بالإسلام فى ذاته لأن ردهم الجاهز إذا كانت التطبيقات السابقة والمعاصرة سلسلة من الفشل المتواصل فلماذا نطمع أن تكون تطبيقنا فى هذه المرة بمعزل عن التجارب السابقة ؟ أو أننا سننجح هذه المرة فيما فشلت الأمة فى تحقيقه على مدار القرون ؟

يقول الدكتور فؤاد فى كتابه الحقيقة والوهم (وإذا كان الخط البيانى للحق والعدل والخير قد ازداد هبوطا على مر التاريخ وبلغ الحضيض فى التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة فعلى أى أساس يأمل هؤلاء فى أن تكون التجربة المقبلة التى يدعون إليها فى مصر هى وحدها التجربة التى ستنجح فيما أخفقت فيه الأنظمة الإسلامية على مر القرون ؟ ويقول فى موضع آخر: (إن الرد الجاهز الذى يرد به أنصار هذه الجماعات على كل من ينبههم إلى إخفاق هذه التجربة فى تطبيق الشريعة أو تلك هو أن هذا ليس هو [الإسلام] وأن خطأ النميرى أو ضياء الحق مثلا هو خطأ أشخاص وليس خطأ الإسلام فى ذاته ، ولكن هذا الرد حق أريد به باطل فمن المؤكد أن أية تجربة لتطبيق الشريعة الإسلامية يمكن أن تنحرف عن جوهر الشريعة ذاتها بحيث لا يصح تحميل الشريعة أوزار التطبيق الباطل هذه حقيقة لا يصح أن يجادل فيها أحد .

ولكن الرد بالرغم من ذلك ينطوى على مغالطات فادحة ذلك لأن أية تجربة أخرى تطبق ستكون بدورها مجرد تطبيق آخر فهل نحن واثقون من أن هذا التطبيق الجديد سيكون هو وحده القادر على تجنب كافة الأخطاء وسيكون هو وحده المعبر عن جوهر الاسلام ...

ويواصل د/ فؤاد كلامه فيقول إن الاستشهاد بعهد الخلفاء الراشدين (هو فى ذاته دليل على أنهم لم يجدوا ما يستشهدون به طوال التاريخ التالى الذى ظل الحكم فيه يمارس باسم الشريعة أى أن التطبيق الذى دام ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً كان فى واقع الأمر تنكراناً لأصول الشريعة وخروجا

عنها) ويقول : ألا يعلم هؤلاء الدعاة الأفاضل أن عمر بن الخطاب شخصية فذة فريدة ظهرت مرة واحدة ولن تتكرر فلماذا يداعبون أتباعهم بالأمل المستحيل (ويرجع فيلسوف العلمانية وجه الاستحالة إلى أمرين :

الأول : فهو يزعم وقوع هذا الفشل من حيث يزعم أن هناك حائلا نظرياً يحول إلى الأبد بين الانسان وبين تطبيق النظام الاسلامى باعتباره نظاما إلهيا .

ويقول معارضاً الداعين إلى تطبيق الشريعة الاسلامية على أساس أنها منزلة من عند الله الحكيم العليم وبالتالى فهى متفوقة على القوانين الوضعية (لو كان الأختيار قائما بين حكم إلهى وحكم بشرى لأصبحت المسألة محسومة على الفور . ولكن السؤال الأساسى هو: هل نحن حقاً إزاء اختيار بين شرع الله وقانون الانسان ؟ فى رأيى أن الأمر على حقيقته أبعد مايكون عن ذلك] .

ثم يقول: إن المبدأ العام الذى يقبل تفسيرات متعددة ومتباينة - يقصد المبادىء التى وردت فى الشريعة - يحتاج إلى جهد بشرى لاغناء عنه ، لكى يترجم إلى واقع يعيشه الانسان) ويؤسس على ذلك قوله [إن الاختيار الحقيقى ليس بين حكم الله وحكم الانسان وإنما بين حكم بشرى يزعم أنه ناطق بلسان الوحى الالهى وحكم بشرى يعترف بأصله إنسانى) .

أما الأمر الثانى : فهو ادعاؤه وقوع الفشل من حيث يزعم أن أى تطبيق للشريعة الاسلامية سوف يخضع فى النهاية لهوى القائمين على التطبيق .

يقول فيلسوف العلمانية :

(إنه لا توجد فى عالم البشر مفاضلة بين حكم إلهى وحكم بشرى لأن كل حكم يتولاه الانسان حتى لو كان يرتكز على شريعة إلهية سيصبح بالضرورة بشريا تنعكس عليه أهواء البشر وتحيزاتهم وأطماعهم) ويقول

فى أسلوب يشم منه الحقد على كل ماهو إسلامى [إن الانسان الذى يتولى تطبيق الشريعة الالهية سيظل إنساناً متحيزاً مغرضاً ظلوماً جهولا].

ثم يرفض الاسلام الشامل لأنه سيؤدى إلى إسدال ستار كثيف بيننا وبين تيارات الفكر والأدب والفن التى يموج بها عالمنا المعاصر ويزعم أيضاً العلمانى أن الحديث الشريف : أنتم أعلم بأمور دنياكم يتناقض مع دعوى شمولية الاسلام .

ثم يدعو إلى تعدد الشركاء مع الدين فيقول: [إن هذا الحديث الشريف أكد أن الدين إنما يمثل واحداً من جوانب متعددة تشتمل عليها حياة الإنسان[1] .

ويسخر العلمانى من الداعين إلى تطبيق الشريعة ويصفهم بالكسل فيقول (أغلب الظن أن معظمهم يعتقد فى قرارة نفسه أن العناية الإلهية سترعانا بمجرد أن قطبق الشريعة) وعناية الله حق لاشك فيهـــا ولكن الدكتور دس على الفكرة ما جعلها مثار سخرية فى الفقرة التالية [ومن ثم فإن قوى السماء ستتدخل من أجل حل مشكلاتنا دون أن يبذل الإنسان جهدا يذكر] والأستاذ أحمد بهجت قد رد عليه بقوله : هذا الافتراض الذى يقبحه الدكتور على الظن .. أو على أغلب الظن يوحى بأنه كان يحدثنا عن شريعة أخرى غير شريعة المسلمين . . لأن العناية الإلهية فى شريعة المسلمين ، وقوى السماء لاتتدخل إلا بعد أن يبذل البشر كل جهدهم أولا يعرف المسلمون هذه الحقيقة جيدا حتى على مستوى طلبة المدارس.

إن النص القرآنى واضح فى أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والتاريخ الإسلامى صريح فى الدلالة على الجهد الإنسانى الرائع

---

(١) الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة ص ١٧٢ — ١٧٤ وجريدة الأهرام ٧/٢٩ ، ٨/٥ ، ٩/١٦ ، ٩/٢٣ سنة ١٩٨٥م .

الذى بذله المسلمون حتى فى عصور الظلام كما أن القعـود عن الـكفاح وانتظار أن تؤدى السماء العمل بدلا منا ليس من خصائص المسلمين قد يـكون مرضا يعترى بعض المسلمين الذين يجهلون حقائق الـكون وسنن الحياة وهل يجوز أن نحـكم على الفـكرة الإسلامية كلها بعدم الصلاحيه لأن فى المسلمين بعض العلل والأمراض هذا منطق يفتقر إلى الانصاف ويهدر الحقائق الثابتة وبالتالى فهو منطق مرفوض(١) .

ونـكتفى هنا بالرد على مزاعم هذا العلمانى وأمثاله بهذه الاشارات

أولا : إن تحكيم الشريعة قيمة فى ذاته فهو معقد التفرقة بين الإيمان والـكفر ونحن نستمسك به ونعض عليه بالنواجد بهذا الاعتبار ثم نجتهد بعد ذلك فى أحكام الضوابط التى تـكفل له حسن التطبيق وتنأى به عن الخلل والاحتراق إن تحـكيم الشريعة لا يقل تقديسه فى دين المسلمين عن قيمة الاستقلال أو العرض ونحوه من القيم الرفيعة التى اتفق العقلاء على تقديسها فى ذاتها مهما ترتب عليها تبعات ومغارم ترى هل يقبل أحد من الوطنيين أن يقال له إذا تحرك لتحرير بلاده من قبضة عدو غاشم . وماذا فعلت الحـكومات الوطنية ? لقد أذاقت شعوبها عذاب الهون وجرعتها الغصص وصنوف البلاء !! فخل عنك أمر الاستقلال فلست على يقين من أن يـكون البديل المنشود أحسن حالا من الواقع المشهود ؟ ترى هل يقبل أحد من الوطنيين بهذ المنطق الجواب معلوم بالطبع . فالاستقلال قيمة فى ذاته فوق المناقشة وفوق الموازنات والحسابات ثم يقال للمتوجس لتجتهد فى أحكام الضوابط التى تضمن للأمة الهيمنة على البديل الوطنى القادم ولـكن لامساومة فى قضية الاستقلال أتـكون الشريعة فى نفوس

---

(١) جريدة الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٥م .

المؤمنين أقل قداسة من الوطن واستقلاله في الوطنيين اللهم لا[1].

ثانيا : إن الاحتجاج على الإسلام بأخطاء وقع فيها بعض حكام المسلمين على مدار التاريخ يعتبر خطأ منهجيا يجب على الباحثين أن يتجنبوه ففرق بين الإسلام وأعمال بعض المنتسبين إلى الاسلام ومن المغالطة الخلط بين الإسلام وأخطاء وقع فيها المنتسبون إليه .

ثالثا : إن اختزال تاريخ العدل في الإسلام في ١ ٪ من التاريخ الاسلامي ممثلة في عهد العمرين وعهد المهتدى بالله العباسي كما يزعم العلماني ظلم بين للتاريخ الاسلامي بل مكابرة لما عرف من تاريخ المسلمين بالضرورة فأين ذهب يزيد بن الوليد الذي كان بعد عمر بن عبد العزيز أعدل بني مروان ؟ وأين ذهب نور الدين محمود الشهيد الذي كان يشبه الراشدين في جهاده وعدله وحرصه على تطهير المجتمع في عهده من الظلم والفساد؟ وأين ذهب صلاح الدين الأيوبي الذي شهدت له الدنيا كلها بالعدل وأقر بفضله الأعدل الصليبيون كما أقر به المسلمون ؟.

رابعا : إن هـــذه الحجة تنطبق بدورها على مايسميه العالمانيون الإسلام الدين انطباقها على مايسمونه الاسلام الدولة : فلقائل أن يقول بناء على هذا المنطق .

وما الغاية من الاسلام الدين ؟ أليس تطهير النفوس وتزكية الأرواح والدعوة إلى الفضيلة ؟ فاذا كان لم ينجح في إقامة ذلك على وجهه على مدار التاريخ ، وكان تاريخ الاسلام في الأعم الأغلب تاريخ المجون والخمر والتهتك والغزل فلماذا نبقى عليه بعد هذا الفشل الذريع ؟! فهل يرضى عاقل بكل هذه التداعيات ؟.

---

(١) تهافت العالمانية د/ صلاح الصاوى ص ٣١

خامسا : لقد تمهد لدى كافة الباحثين أن الدخن والدخيل فى كتابات التاريخ الاسلامى أكثر من أن يحصر وأن كثيرا من رواياته قائمة على المبالغة والبعد عن الواقع .

وقد لعبت الاسرائيليات فيها دورا كبيرا وتحتاج إلى غربلة وعند التحقيق لاتقوم لها قائمة .

ومن الغريب والعجيب أن العلمانيين يحكمون على تاريخنا بعيون استشراقية فيها أجحاف ومغالطات منهم لاتقع أعينهم إلا على السقطات ولا يقرءون فى التاريخ إلا المظالم والمفاسد مثلهم مثل مفتشى القمامة لاتقع أعينهم الا على القاذورات ولاشغل لهم إلا بالتنقيب عنها الأمر الذى يشكك فى أصل ولائهم للاسلام كله من الأساس دولة ودنيا .

بقى لنا نقطة هامة لا بد من الإشارة إليها ألا وهى ما زعمه د / فؤاد من القول باستحالة النفوذ إلى النظام الإلهى واستحالة تطبيقه لأنه تعوق بين هذا النظام وبيننا — على الدوام — ضرورة التفسير البشرى للنصوص فهو — أى النظام الإلهى — يرجع بالضرورة إلى أن يكون نظاما بشرياً أولا وأخيراً .

ومن الممكن الرد على ذلك بأن النص الإلهى :

١ — قد يكون من النوع الذى لا يحتاج إلى اجتهاد لوضوحه فلا يحتاج إلى تفسير أو اجتهاد ونضرب لذلك مثلا بآيات المواريث أو آيات العقوبات لجلد الزانى والزانية فنحن هنا أمام النص بغير عائق وغير حائل .

وإما أن يكون النص بحاجة إلى الاجتهاد وهنا لا بد للمجتهد أو المفسر

(١) المرجع السابق ص ٣٢

من أن يتقيد فى تفسيره أو اجتهاده بقيود موضوعية تشف عن النص الإلهى وتصونه من التفسير بالهوى أو التحكم بالرأى[١] .

وهذه القيود ترجع إلى قواعد اللغة فى النحو والصرف والبلاغة وقواعد المنطق والتفكير وعلوم القرآن وعلم أصول الفقه بما يشمله من الخاص والعام والمطلق والمقيد ومقاصد الشريعة ودلالات الألفاظ ، وأنواع الأحكام .

وعلم الحديث بما يشمله من معرفة بالرجال وقواعد الجرح والتعديل والصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمتواتر والآحاد إلخ .

فتلك قيود لا مفر من أن يتقيد بها المفسر أو المجتهد وأن يكون على علم بها لكى يكون اجتهاده أو تفسيره تعبيرا عن النص لا عن الذات نفسه[٢] .

٣ — وإما أن يكون الحكم الذى يقدمه المفسر أو المجتهد نابعاً من اقتناع شخصى بحت وحينئذ فهو يقدمه على هذا الأساس فلا يكون ملزماً بالاتباع .

وهذا هو أبو بكر — رضى الله عنه — قد نزلت به قضية فلم يجد فى كتاب الله منها أصلا ولا فى السنة أثراً فاجتهد رأيه فيقول : هذا رأيى فإن يكن صواباً فمن الله وأن يكن خطأ فمنى واستغفر الله »[٣] .

ويقرر الدكتور يحيى أن الحالة التى يتحدث فيها المجتهد عن رأيه لا يمكن

---

(١) ظاهر أن هذا العلمانى عندما يتحدث عن الإسلام يطفو على ذهنه مذاهب ضالة مثل الباطنية وغيرهم وهم موضع رضا من العلمانيين .

(٢) الدكتور يحيى هاشم — حقيقة العلمانية ص ١٠٤

(٣) نقلا عن ا . د يحيى هاشم ص ١٠٥

مساواتها بالآراء البشرية الأخرى (العلمانية) لأن المجتهد فى الحالة الأولى ملتزم بالمبادىء والأصول الإلهية خاضع لها قابل للاحتكام إليها .

أما العلمانى فقد أزاح النص الإلهى وأخذ وظيفته وأعلن تحرره منه وشتان بين الموقفين .

كذلك فإننا نرد هذا المنطق العلمانى على سبيل الإلزام بأن نطبقه على صاحبه فيظهر كذبة ذلك لأن هذا المنطق — إن صح جدلا أنه يحول بيننا وبين النص الإلهى .

كما يزعم العلمانى — فإنه يحول بيننا وبين النصوص البشرية التى هى فى حاجة أيضاً إلى تفسير وبيـــان فيستحيل علينا معرفة أفلاطون وأرسطو وكانت كما يستحيل علينا معرفة ما يقوله العلمانى نفسه .

وهكذا ينفضح هذا المنطق عن الفسطة المعاصرة فى أحدث طبعاتها[١].

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى كلمة الأستاذ أحمد بهجت فى رده على هؤلاء العلمانيين : يقول : تمتحن النظريات والأفكار عادة بالتطبيق ولا تظهر قيمة الفكرة إلا بعد التطبيق إذا افترضنا أن فكرة ما — كانت غاية فى النبل — ولكنها لم تطبق قط ، إن هذا يعنى أننا لا نستطيع أن نحكم عليها بالصلاحية أو عدم الصلاحية .

إذا كانت هـــذه النظرية أو الفكرة قد طبقت ونجحت ولو لفترة محدودة فإن هذا يعنى صلاحيتها للتطبيق فإذا تعثرت الفكرة بعد ذلك فهذا يعنى أن الخلل يرجع لسوء التطبيق لا للفكرة .

هذه قاعدة عامة وهى من فرط عمومها قد صارت بديهية وهذه البديهية تتحول إلى لغز غارق فى الضباب أمام عقول العلمانيين ودعاة التغريب .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٥ د/ يحى هاشم .

إن دعاة تطبيق الشريعة يستشهدون بعهد الخلفاء الراشدين وعصر عمر ابن الخطاب بوجه خاص — عندالدكتور فؤاد زكريا — دليل على أنهم لم يجدوا ما يستشهدون به غير هذا العصر ، وهو دليل عند الدكتور فؤاد زكريا — على أن تطبيق الشريعة الذى دام ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا كان فى واقع الأمر نكراناً لأصول الشريعة وخروجا عليها كان الدكتور فؤاد زكريا يريد أن يقول : ما دامت كل العصور ليست مثل عصر الخلفاء الراشدين وعصر عمر بن الخطاب بالتحديد فهذا يعنى أن الشريعة قد فشلت .. ونحن نسأله هل عرفت الدنيا عصراً مثل عصر عمر ابن الخطاب .، هل وصل النظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى أو النظام الرأسمالى فى أمريكا إلى ما وصل إليه عمر بن الخطاب أو عصر الخلفاء الراشدين .

لماذا يطلبون من الفكرة الإسلامية ما لا يطلبونه من غيرها من الأفكار الحاكمة ولماذا يرفضون فكرة قدمت آلاف النماذج التى يستحيل تقديم غيرها لهم .

إن عصر الخلفاء الراشدين كان هو المثل الأعلى فى تطبيق الفكرة الإسلامية وهناك عصورا أخرى كانت عادلة وهناك عصور ازدهار، وعصور انحدار ، وهناك عصور استبداد أيضاً .

ومن الظلم والجهل بتاريخ الإسلام أن يزعم أحد أنه بعد عصر الخلفاء الراشدين كان الحكم الإسلامى كله إستبدادا وظلاما ومن أمراض الطفولة اليسارية أن يتطلب الإنسان أن تكون كل عصور تطبيق الفكرة عصوراً ذهبية أو تكون الفكرة فاشلة .

لاحظت الدكتورة فوقيه حسن محمود أن الدكتور فؤاد زكريا يخلط بين سوء التطبيق ومبدأ التطبيق ذاته أو مشروعية التطبيق وهذه ملاحظة وجيهة وهى تلخص منهجه .

إن الدكتور فؤاد زكريا يغمض عينية عن الفترة الذهبية فى تطبيق الشريعة الإسلامية ثم ينظر إلى سوء التطبيق فى فترة أخرى . . ويخلص من هذا النظر إلى أن الفكرة فى ذاتها لا تصلح للتطبيق اليوم، وهذا منطق الهوى لا منطق البحث عن الحقيقة)[1] وللدكتور يحى تعليق جميل فى هذا الشأن يقول فيه : إذا كان من المسلم به أن عصر الخلفاء الراشدين كان العصر الأقرب إلى مثالية النظام الإسلامى فإن هذا لا يعنى شذوذية هذا العصر وانه كما يقول العلمانى عن عمر بن الخطاب : (شخصية ظهرت مرة واحدة ولن تتكرر، هذا قول غير صحيح فى مقياس النظرة العلمية أو النظرة الدينية على السواء .

فمن ناحية النظرة العلمية يجب أن نؤمن بموضوعية السبب والنتيجة وانه كلما حصل السبب كان لا بد للنتيجة أن تحصل وليس فى الأمر خصوصية فرد أو معجزة عصر وكان أجدر بهذا العلمانى ألا يلجأ إلى مثل هذا القول لو أخلص لمنهجه العلمى والنظرة العلمية تسجل الظاهرة لتبحث عن أسبابها ولا تقفل باب البحث بمقولة حادثة (حصلت مرة واحدة ولن تتكرر) .

على أن النظام الإسلامى لم يكن مجرد حادثة عابرة ولكنه كان عصرا إنسانياً وأجيالا بشرية عاشت على أرض الواقع ولم يكن سبب لظهورها غير النظام الإسلامى .

والنظرة العلمية هنا تقول لنا — تبعا لمنطق السبب والنتيجة — إنه حيث يتوفر السبب — وهو النظام الإسلامى — يظهر الإنسان المشابه لإنسان عصر الخلفاء الراشدين.

---

(١) الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٧ م نقلا عن الدكتور يحى هاشم ص ١١٠

فالعلمانى قد أعترف بظهور النظام الإسلامى فى مجال التطبيق وعليه أن يعترف بامكانية التكرار كلما اجتمعت الأسباب التابعة من هذا النظام .

ومن الناحية الدينية فإنه ليخطىء من ينظر إلى البيئة المحمدية الإسلامية التى أثمرت أمثال أبى بكر وعمر باعتبارها مرحلة معجزة خارقة للقادة وللسنن فهو من ثم يعزلها عن مجرى التاريخ وينزع عنها ضوء القدوة ويحرم الإنسانية من التطلع إلى إنجاز مثلها[1] .

ويخطىء مرة أخرى من ينظر إليها باعتبارها مرحلة من مراحل التطور الإجتماعى للبشرية مرحلة عادية أو غير عادية — فهى من ثم مرحلة متساوية القيمة مع ماقبلها ومابعدها حيث تكون مرحلة حجة على الزمن الذى شغلته ولا حجة فيها على المستقبل لأن المستقبل يأتى بأسبابه ونتائجه وله حجته على الزمن الذى يأتى فيه .

كلا النظرتين تنزع عن هذه المرحلة ضوء القدوة وتعزلها عن موضع القيادة وتحرمها من « التأثير العملى » فى حياة المسلمين ، إن هذا يتعارض مع مغزى قوله تعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[2] .

ومع قوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم)[3] .

ومع قوله ﷺ : (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم،

---

(١) كتاب الإسلام بين العلماء والحكام ص ١٨ — ٢٢ نقلا عن الدكتور يحى هاشم ص ١١١

(٢) سورة البقرة .　　　　(٣) المائدة .

بل إنه ليتعارض مع مغزى ما كان يقع فى هذه البيئة من تجاوزات تخدش مثاليتها ظاهرا .

ويحدد الدكتور يحى مغزى هدى الآيات والأحاديث فيقول : إن هذه البيئة كانت مصنوعة بصنع الله لتتبلور فيها جميع التجارب وتتجمع فيها جميع الأحكام الخالدة بخلود هذا الدين وأنها من ثم كانت بوفاة الرسول ﷺ مكتملة من حيث كونها بجمع هذه التجارب والأحكام ومركز الضوء فى تاريخ الدعوة الإلهية .

ومن هنا فإن البيئة المحمدية بهذا المفهوم تكون مجعولة (وكذلك جعلناكم) لتقوم بدور محدد فى التاريخ .

وهذا هو معنى قوله تعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) فى ظل هذا الفهم تنحل مشاكل كثيرة فى الفكر الإسلامى : وأهمها مشكلة النمو الاجتماعى والتاريخى للأمة الإسلامية فالنمو فى ظل هذا الفهم يكون له مساران :

مسار خاص لهذه البيئة بدأ بالبعثة وانتهى بوفاة الرسول ﷺ واكتمال الدين فهى إذن من وجهة نظر الإسلام بيئة نمت واكتملت بكل أحداثها وقوانينها وأحكامها .

ومسار عام لما عدا هذه البيئة يجرى فيه وفقاً لسنته العامة فيظل مفتوحاً إلى نهاية الإنسانية تصعد فيه الأمم أو تتراجع ...

ومهما يكون من أمر فإنه ليمكن القول بأن النظام الذى يثمر أبا بكر وعمر ولو على سبيل الندرة المطلوبة لهو أفضل من الأنظمة الأخرى التى لم تثمر شيئاً من ذلك .

إن الشذوذ أو الندرة المطلوبة هنا — مع كونها كـــذلك تظل

مقياساً تقاس به طبيعة الأنظمة ومدى ماتصل إليه فى مدارج الصلاح أو الفساد .

فالنظام الذى يكون أقصى مايصل إليه — بالندرة — أن يقدم شخصية عمر غير الذى يكون أقصى مايصل إليه شخصية الإسكندر — بالندرة أيضاً وهو غير النظام الذى يكون أقصى مايصل إليه شخصية ستالين بالندرة كذلك وهو غير النظام الذى يكون أقصى مايصل إليه بالندرة نعم شخصية مايكل جاكسون المخنث « العظيم » مع دخول أولئك جميعاً فى خانة الندرة المطلوبة لكن لكل دلالته على عصره[1]

ومن الممكن أن نعطى نماذج تدل على تغلغل النظام الإسلامى فى العقول والقلوب والسلوك فى عصور مختلفة فنقول وبالله التوفيق .

كان الخلفاء بعد رسول الله — ﷺ — يقومون بمهام متعددة من قيادة جيش وحكم أمة وتصريف أمور المال وتدبير شؤون الناس جميعاً إلى أن اتسعت رقعة الأرض المفتوحة وامتدت أطراف الدولة وكثرت تبعاتها فكثر المختصون والمصرفون للأمور فى القضاء والحكم والجندية والمال كل فيما يحسن ويجيد وكل ميسر لما خلق له ، ولم نسمع أن مسلماً اعترض على خليفة من الخلفاء أو حاكم من الحكام لأنه جمع بين الإمامة فى الصلاة والإمامة فى الحكم وإنما سمعنا وقرأنا عن كثير من الناس كانوا يطالبون الحاكم أن يعود إلى أمر الله حين يحيد عنه وسمعنا وقرأنا عن كثير من العلماء والفقهاء الذين وقفوا فى وجوه بعض الحكام لأنهم حاولوا أن يستغلوا الإسلام أو أن يبعدوا روحه عن سلطة الحكم وقد وقع ذلك قبل أن يلوث المسلمون بسموم الغرب وحضارته المادية المتآكلة وكانوا يومئذ فى حمى الإسلام يجمعون على أن الدين لابد أن

---

(١) د . يحى هاشم حقيقة العلمانية ص ١١٥ — ١١٦

يتغلغل فى كل مرافق الدولة وكل جنبات الحياة من بيت ومدرسة وحقل ومصنع ومحكمة ومسجد ومعسكر وبيت مال ومجلس حكم لأن فى الإسلام وحده إصلاح الدارين .

إن إصرار أبى بكر رضى الله عنه على مقاتلة مانعى الزكاة يؤكد أهمية الترابط الوثيق بين مفاهيم الإسلام وأوامره ونواهيه وتشريعاته .. وإلا فما معنى إصراره رضوان الله عليه على مقاتلة قوم رضوا باعلان الشهادة وامتنعوا عن تأدية جزء يقوم عليه الجانب الاقتصادى فى قواعد الإسلام وأصوله ؟ ذلك لأن الإسلام دعا للتكامل بين أجزائه واعتبر فى وضوح واصرار على أن هذا التشريع المالى إنما هو ركن عبادى كذلك من أركانه الأساسية[1] .

فى العهد الأموى

وقف أمير المؤمنين معاوية يوماً على منبره بعد أن قطع بعض الأعطيات المالية عن أفراد المسلمين فقال : اسمعوا وأطيعوا فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال : لاسمع ولا طاعة يامعاوية قال : ولم ياأبا مسلم ؟ فقال : يامعاوية كيف تمنع العطاء وأنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال للحاضرين : مكانكم وغاب ساعة عن أعينهم ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال . إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقـــول : (الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحد فليغتسل ، وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدى

---

(١) المنهزمون يوسف العظم ص ٩٤

ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم[١] .

إنها مطالبة الحاكم أن يعود إلى أمر الله حين يحيد عنه والجهر بكلمة الحق ومحاسبة المسؤول أيا كان .

فى العهد العباسى

قال الإمام سفيان الثورى رحمه الله لما حج أبو جعفر المنصور[٢]

قال: لابدلى من سفيان فوضعوا لى الرصد حول البيت فأخذونى بالليل ، فلما مثلت بين يديه أدنانى ثم قال : لأى شىء لا تأتينا فنستشيرك فى أمرنا فما أمرتنا من شىء صرنا إليه ومانهيتنا عن شىء انتهينا عنه فقلت له كم أنفقت فى سفرك هذا ؟ قال : لاأدرى . لى أمناء ووكلاء .

قلت : فما عذرك غداً إذا وقفت بين يدى الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حج قال لغلامه: كم أنفقت فى سفرنا هذا ؟ فقال الغلام . ياأمير المؤمنين ثمانية عشر ديناراً فقال عمر : ويحك أجحفنا بيت مال المسلمين وقد علمت ماحدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ج ٢ص٣٣٩ والحادثةوالحديث رواهما أبو نعيم فى الحلية .

(٢) أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى الذى اتخذ على عبد الرازق وأشباهه من كلمة رواها صاحب العقد الفريد على لسانه (إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، ذريعة ليقول إنهم — المسلمون جعلوا الخليفة ظل الله تعالى : فأين ظل الله هنا بمفهومه الكهنوتى ؟

رسول الله ﷺ قال : رب متخوض فى مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً .

فيقول أبو عبيد الكاتب أحد متزلفى الحاشية : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا فيجيبه سفيان رحمه الله: اسكت إنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون).[1]

ويروى ربيع بن يونس صاحب الخليفة المنصور ، أن المنصور دعا الإمام مالك وابن أبى ذئب والإمام أبا حنيفة وقال لهم : كيف ترون هذا الأمر الذى خولنى الله تعالى فيه من أمر هذه الأمة ، هل أنا لذلك أهل؟

فقال ابن أبى ذئب .. وأن الخلافة تكون بإجماع أهل التقوى لمن وليها وأنت وأعوانك خارجون عن التوفيق عادلون عن الحق فإن سألت الله تعالى السلامة وتقربت إليه بالأعمال الزاكية كان ذلك وإلا فأنت المطلوب .

وقال أبو حنيفة :

إن أنت نصحت نفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا ، فإنما أردت أن تعلم العامة أنا نقول فيك ماتهواه مخافة منك .. ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك اثنان من أهل التقوى ، والخلافة تكون باجتماع المؤمنين ومشورتهم[2] ..

---

(١) انظر سراك الملوك ص : ٥١ والحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ووردت هذه القصة فى الإسلام بين العلماء والحكماء للأستاذ عبدالعزيز البدرى نقلا عن فصل الدين عن الدولة إسماعيل الكيلانى

(٢) مناقب الإمام الأعظم للكردرى ج ٢ ص ١٥ — ١٦ نقلا عن د/ اسماعيل الكيلانى فصل الدين عن الدولة ص ٩٨

فى العهد العثمانى

حضر السلطان بايزيد إلى المحكمة بين يدى شمس الدين محمد حمزة الفنارى قاضى القسطنطينية ليشهد فى قضية رفعت إليه فما كان من قاضى القسطنطينية إلا أن رد شهادة السلطان ولم يقبلها ولما سأل السلطان عن وجه ردها ، جاء الجواب الحاسم من القاضى المؤمن : إنك تارك للصلاة مع الجماعة .

أرأيتم ماطعن فى صحة شهادة السلطان إنك تارك للصلاة مع الجماعة .

وكان جواب السلطان أن بنى جامعاً فى الحال أمام قصره وعين لنفسه موضعاً فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك .

ومثل هذه الحادثة يؤكد لنا ويبين الترابط المتين والصلة الوثقى بين أنظمة الإسلام جميعاً باعتبارها كلا لايتجزأ ولم يقل أحد فى مثل هذا الموقف : هذا سلطان وتلك صلاة وذلك قضاء . فما العلاقة بينها ؟[1]

---

(١) يوسف العظم المنهزمون ص ٩٦

الفصل الخامس

المتحفظون وشبهتهم

وتحفظهم على الحكومة الدينية الثيوقراطية

بمعنى حكم رجال الدين والذين يستمدون سلطانهم من الله

قال د . وحيد رأفت :

دعاة تطبيق الشريعة يريدون أن يصبحوا (كهنة آمون) من جديد ، لأنهم وحدهم الذين يملكون تفسير الشريعة وإقامة (الثيوقراطية) الدينية حيث سيطرت رجـــال الدين والحكم بالحق الإلهى وحافزهم على ذلك النموذج الإيرانى[1] .

ويقول د . فرج فودة فى كتابه — قبل السقوط — يؤيد به العلمانية (إن المنادين بتطبيق الشريعة الإسلامية فوراً دون إبطاء يرددون فى ذات الوقت مقولة تبدو فى ظاهرها منطقية يواجهون بها كل من يتصدى لهم بمجرد النقاش وهى مقولة تطرح فى شكل سؤال منطقى :

ماالذى يخيفك من تطبيق الحدود ؟ إنها لن تطبق إلا على سارق أو زان أو شارب خمر أو مرتد أو مفسد فى الأرض ، وهو تساؤل يبدو على ظاهره مفحماً لكنه يخفى حقيقة أرجو أن يلهمنى الله القدرة على إيضاحها

---

(١) مجلة فكر العدد ٨ ديسمبر سنة ١٩٨٥ ، ص : ٧٣ — ٧٤ — ندوة التطرف السياسى الدينى نقلا عن مقالة (اكذوبة الحكم الإلهى ، الأستاذ فهمى هويدى ، الأهرام ١٤ / ١٠ / ١٩٨٦ م) .

وهى أن تطبيق الشريعة الإسلامية ليس مسألة (جزئية) تتعلق باقامة بعض الحدود وإنما هو مدخل لتداعيات يهرب أنصار التطبيق الفورى للشريعة من إيضاحها أو يغالطون فى بيان أبعادها الحقيقة .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية لابد أن يقود إلى دولة دينية والدولة الدينية لابد أن تقود إلى حكم بالحق الإلهى لايعرفه الإسلام أو قل عرفه فقط فى عهد الرسول والحكم بالحق الإلهى لايمكن أن يقام إلا من خلال رجال دين إما بصورة مباشرة أوغير مباشرة ا . هـ) .

الرد على هذه المفتريات

والإسلام لايعرف الحكومة الدينية بهذا المعنى لايعرف الحكومة المفوضة من الله والتى لها حق اتخاذ القرار بسلطان الدين لأن الإسلام لايعرف الكهنوتية وليس فيه رجال دين وإنما فيه علماء دين متخصصون فى علوم الدين أكثر من هذا فإن الإسلام لم يشترط فى حاكم المسلمين أن يكون أكثر الناس معرفة.

بعلوم الدين أو أكثرهم تديناً وسماحة أخلاق بل إن كثيرين من أصحاب الرسول ﷺ كانوا لايقلون تدينا أو ورعاً عن أبى بكر أو عمر أو عثمان أو على .

وهكذا كانت القاعدة الإسلامية تعيين الأكفأ والأقدر على العمل بصرف النظر عن شدة الورع أو كثر التدين امتثالا لقول النبى ﷺ (من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجــــلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)[١] .

---

(١) د/عبد الغفار عزيز الإسلام السياسى بين الرافضين له والمغالين فيه ص ٢٩٩ ، ٣٠٣ ط ١٩٨٩ م

يكفى أن نستمع لرأى ابن تيمية فى كتابه (السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية) وهو يقول : (الواجب فى كل ولاية الأصلح بها فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة قدم انفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضرراً فيها فيقدم فى إمارة الحروب الرجل الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف وإن كان أمينا[٢] .

إن الدولة الإسلامية دولة مدنية تقوم على أساس الاختيار والبيعة والشورى ومسؤلية الحاكم أمام الأمة وحق كل فرد فى الرعية أن ينصح لهذا الحاكم ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر بل يعتبر الاسلام هذا واجبا كفائيا على المسلمين ويصبح فرض عين إذا قدر عليه وعجز غيره عنه أو جبن عن آدائه إن الحاكم فى الاسلام مقيد غير مطلق فهناك شريعة تحكمه وقيم توجهه وأحكام تقيــده وهى أحكام لم يضعها هو ولا حزبه أو حاشيته بل وضعها له ولغيره رب الناس ... ولا يستطيع هو ولا غيره من الناس أن يلغوا هذه الأحكام أو يجمدوها ... لأنها من أحكام الله الثابتة .

ومن حق أى مسلم أو مسلمة إذا أمره الحاكم بما يخالف شريعة الله أن يرفض لأنه إذا تعارض حق الحاكم وحق الله فحق الله مقدم ولاشك إذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق)[١] .

لا كهنوت فى الاسلام وعلماء المسلمين وكذلك الحكام ليسوا بمعصومين فهذا أول الخلفاء الراشدين أبو بكر يخطب غــداة مبايعته بالخلافة (أيها الناس أنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فاعينونى وإن أخطأت فقومونى .. أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم) .

---

(٢) نقلا عن المرجع السابق .

(١) بينات الحل الاسلامى د / يوسف القرضاوى ص ١٧٠

فالحاكم أو الخليفة فى الاسلام ليس وكيل الله بل هو وكيل الأمة هى التى تختاره وهى التى تراقبه وهى التى تعزله وقد قال عمر من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومنى .

ورفض سلمان أن يسمع لأمير المؤمنين عمر حتى يفسر له كيف كفته قطعة (القماش) التى وزع مثلها على سائر الصحابة وهو رجل طوال لاتكفيه قطعة واحدة لثوب كامل ؟

واستجاب أمير المؤمنين وقام ابنه عبد الله يفسر ذلك بأنه تنازل عن قطعته التى كانت من نصيبه لأبيه !

وردت امرأة على عمر وهو يخطب فرجع عن قوله إلى قولها وقال كلمته المشهورة أصابت امرأة وأخطأ عمر ودخل الفقيه التابعى أبو مسلم الخولانى على معاوية وهو خليفة فقال : السلام عليك أيها الأجيرا فأنكر عليه بعض من حوله وأعاد قوله وأعادوا قولهم فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول : وقال عمر بن عبد العزيز : إنما أنا واحد منكم غير أن الله جعلنى أثقلكم حملا .

وقال صلاح الدين الأيوبى : إنما أنا عبد الشرع وشحنته أى شرطية وجنديه أى مهمتهى الحراسة والتنفيذ[1] .

أين إذن الحكم الالهى الذى يتحفظون عليه ؟ فعلام استند العلمانيون للاسلاميين بالدعوة إلى إقامة دولة دينية .

١ — لقد حفظ لنا التاريخ رفض عثمان رضى الله عنه فى حصاره أن يعزل نفسه عن الخلافة وقوله فى تعليل ذلك قميص البسنيه الله لاأخلعه » .

---

(١) نقلا عن د / يوسف القرضاوى بينات الحل الاسلامى ص ١٧١

تلقف هذه الكلمة د/ فـــرج فودة وضخمها وجعل منها حجة لا تدحض وقرر أن عثمان أول من رأس الثيوقراطية فى تاريخ الحكم الاسلامى .

يقول د / فرج [لكن الأمر المؤكد أن نظرية الحكم بالحق الالهى تجد تأصيلا قوياً فى مقولة الخليفة عثمان بن عفان حين طلب منه الثائرون عليه أن يعتزل الخلافة فأجابهم بالعبارة التى أصلت تصور الحكم بالحق الالهى عند من تلاه (لا والله ، إنى لن أنزع رداء سربلنيه الله) وهى العبارة التى وضعت الفكر السياسى الاسلامى كله عند مفترق طرق بين أغلبية تأخذ برأى عثمان رضى الله عنه فى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يولى الخليفة ومن ثم فلاحق للرعية فى نزع الامام من مكان رفعه الله إليـــه وأقلية ترى أن الأمة مصدر السلطات وهى التى تولى وهى التى تعزل وهو الرأى تبناه المعتزلة فيما بعد ولعل فى تسميتهم بالمعتزلة دليلا على موقف الدولة الاسلامية منهم وموقفهم منها ا هـ] .

٢ — يستند العلمانيون إلى مقال لأبى جعفر المنصور فى إحدى خطبه أيها الناس إنما أنا سلطان الله فى أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئه وإرادته وأعطيه بإذنه فقد جعلنى الله عليه قفلا أن شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم وقسم أرزاقكم وإن شاء أن يقفلنى عليها أقفلنى .

أما مقولة عثمان رضى الله عنه فلا تحمل عند التحقيق شبهة الثيوقراطية من قريب أو من بعيد فقد كان يتحدث عن بيعة له وكان يعلم أن الذين بايعوه لم ينقضوا بيعته وأن الخارجين عليه ليسوا هم أهل الحل والعقد الذين يملكون القرار فى التولية والعزل وإنما كانوا قـلة من الغاصبين ولقد أراد رضى الله عنه أن يصون منصب الخلافة عن أن يكون ألعوبة فى أيدى الطائشين والمتمردين وأبى أن يترك أمة محمد يعدوا

بعضها على بعض وتولى هذه القلة من يروق لها فتقع فى الهرج ويفسد الأمر وعندما رفض أن يستجيب لهؤلاء الخارجين أبى أن يستنفر مؤيديه لصدهم وآثر أن يقدم نفسه قرباناً حتى لا تنسل السيوف بين المسلمين وقدم نفسه للشهادة راضيا مرضيا !!

أفيصح أن يقال عمن يقف هذا الموقف أنه يحتمى بالحق الالهى ليفرض سلطانه على الناس ؟!

ومن ناحية أخرى فقد روى أن هذا الموقف كان لوصية أوصاه بها النبى ﷺ فى نبوءة من نبوءات الغيب حيث قال له ، إن الله لعله يقمصك قميصا فإن أرادك أحد على خلعه فلا تخلعه ثلاث مرات)[1] .

وأما مقولة د. فرج فودة (إن كلمة سيدنا عثمان وضعت الفكر السياسى الإسلامى كله عند مفترق طرق أغلبية تأخذ برأى عثمان رضى الله عنه فى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يولى الخليفة ومن ثم فلا حق للرعية فى نزع الإمام من مكان رفعه الله إليه وأقلية ترى أن الأمة مصدر السلطات ، وهى التى تولى وهى التى تعزل وهو الرأى الذى تبناه المعتزلة فيما بعد ولعل فى تسميتهم بالمعتزلة دليلا على موقف الدولة الإسلامية منهم وموقفهم منها) ا ـ هـ

إن هذا القول دليل على أن صاحبه جاهل بالإسلام وغير عالم بتاريخه ويجهل التيارات الفكرية فيه أو كما يقول الدكتور يوسف فهمه مشوشاً أختلط فيه القصور باتباع الهوى وكلامه مردود ومرفوض من عدة أوجه .

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى وحسنه ابن ماجه من حديث النعمان بن بشير عن عائشة

أولا : إن جمهور الأمة وعلى رأسهم أهل السنة ، يرون أن من حق الأمة — بل من واجبها — ممثلة فى أهل الحل والعقد أن تختار الإمام وأن تحاسبه وتقومه بل وتعزله ، إذا لم يترتب على ذلك منكر أكبر من وجوده وإن مقاومته واجبة إذا رأت منه كفراً بواحا عندها فيه من الله برهان هـــذا هو رأى جمهور الأمة وليس رأى أقلية فيها كما زعم الكاتب حتى على عبد الرازق الذى ينقل عنه — العلمانى — لم يسعه إلا أن يقرر من الناحية النظرية أن الأصل فى الخلافة عند المسلمين أن تكون راجعة إلى إختيار أهل الحل والعقد إذ الإمامة عقد يحصل بالمبايعة من أهل الحل والعقد لمن أختاروه إماماً للأمة بعد التشاور بينهم[١] .

ثانياً : أن الكاتب خلط خلطا فاضحا بين نسبة أفعال العباد إلى الله تعالى باعتباره أن له الخلق والأمر وهو صاحب المشيئة العليا فى الكون وهذا ما يشير إليه قوله (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء)[٢] .

وهذا مذهب أهل السنة والجمهور — وبين مسؤليه العباد عن أعمالهم وإن كانت بمشيئة الله تعالى وخلقه خلافا للمعتزلة .

فأهل السنة جميعاً يرون أن مشيئة الله تعالى وقدره لا تسقط مسؤولية الإنسان ولهذا فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وشرعت العقوبات وسن الثواب والعقاب وكانت سوق الجنة والنار أما ما نسبه إلى المعتزلة وما علل به سبب تسميتهم فذلك إدعاء لا أصل له ولا دليل عليه ولم يقل به أحد من مؤرخى الفرق الإسلامية قديماً أو حديثاً فلا ابن حزم ولا

(١) الإسلام وأصول الحكم للأستاذ على عبد الرازق ص ٢٤ نقلا عن د/ يوسف القرضاوى بينات الحل الإسلامى ص ١٨١

(٢) سورة آل عمران ٢٦

الشهرستانى ولا البغدادى قديماً ولا أحمد أمين ، ولا غيره ممن كتب عن المذاهب والفرق الكلامية وما أكثرهم قال به[١] .

ومن الجدير بالذكر أن المعتزلة حين صارت لهم دولة فى حكم المأمون هم الذين أسكتوا صوت المعارضة بالسياط والتعذيب والزج فى السجون ومامحنة خلق القرآن ، عنا ببعيد ؟ !

ثالثاً : إن الذين ثاروا على عثمان رضى الله عنه لم يكونوا هم جمهور الأمة ولا أهل الرأى والمكانة فيها بل جماعة من الغوغاء كما وصفهم المؤرخون استغلهم آخرون من ذوى الأهواء ومن الكائدين للإسلام فى الخفاء .

وقد كان هؤلاء نواة للذين قالوا بعد ذلك بانحصار الحكم فى سلالة خاصة تتوارثه بحكم (الحق الإلهى) خروجا على الخط الإسلامى العام[١] .

أما مقالة المنصور : فقد نقلها أصحابها من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه وهو كتاب أدب وليس من مراجع الفقه ولا من مصادر التاريخ وما مثل هؤلاء الذين ينقلون عن كتب الأدب كالعقد الفريد والأغانى ونحوه فى الحكم على التاريخ الإسلامى إلا كمن يريد أن يحكم على مجتمع من المجتمعات من خلال الأفلام السينمائية التى تعرض فى هذا المجتمع والتى لا تعبر إلا عما يسمى بالوسط الفنى .

وعلى فرض ثبوت هذه المقولة فإنها كلمة هو قائلها لا يحتج بها على

---

(١) المرجع السابق ١٨٢
(١) المرجع نفسه ص ١٨٢

دين الله فالحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الشرع لا غيره وإذا كنا نرد على مثل الصحابة والتابعين إذا تعارض مع قطعى فكيف لا نرد على مثل المنصور وغيره من حكام المسلمين وهذا فضلا عن قابلية هذه الكلمة للتأويل واحتمالها لأن يكون المقصود بها أنه يمثل شرع الله فى الأرض ويقوم بتنفيذ كلمته بين عباده أليس عجيباً أن يتهم الإسلام الذى دعا إلى التوحيد وحارب الشرك فى جميع صوره وأشكاله بأنه يدعو إلى تألية الملوك واضفاء القداسة والعصمة على تصرفاتهم وتعبيد الرعية والرعية لهم من دون الله ؟

أليس عجيباً أن يتهم الإسلام الذى ينعى على النصارى إتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله بأنه يدعو إلى إتخاذ الملوك والحكام أربابا من دون الله ؟!

الفصل السادس

شبهة حماة الأقليات

وهم يتحدثون عن الأقليات وكأنهم قد حصلوا على توكيلات منهم للدفاع عنهم: يقول أحدهم .

إن جعل الحاكمية فى المجتمع للدين الإسلامى سيشق الصف الوطنى فى مجتمع به أقليات دينية غير إسلاميه — من النصارى على وجه الخصوص — لأن تحكيم دين فى أبناء دين آخر هو امتياز لأبناء الدين الحاكم على الآخرين[1] ثم يقول (لا يقبل أحد منا أن ينقسم هذا الوطن وأن يشعر فريق من المواطنين قل أو كثر بالخوف من أن يحكم بعقيدة الآخرين ويشعر فريق آخر بالزهو للحكم بعقيدته[2] .. ثم يقول (نحن لا نعرف سوى هوية المواطنة) : هؤلاء الوكلاء يتباكون على وحدة الوطن ولكنهم فى حقيقتهم يسعون لشق صف الأمة وهدم وحدتها .

يقول الدكتور محمد يحى (يدهشنا العلمانيون باستنادهم المطلق إلى حجة الوحدة الوطنية فهم ورثة العلمانيين الغربيين الذين حاربوا المسيحية حربا مريرة .. لقد أنكروا كتبها المقدسة ووصفوها بالأساطير وسخروا من عقائدها الرئيسية بل وشككوا فى وجود مؤسسها نفسه وأعلنوا حرباً شعواء على كل قيمها وأخلاقها وطاردوا كهنتها فى كل مكان بنزعة

---

(١) الإسلام والسياسة د/ محمد عمارة: ص ١٨٩

(٢) ندوة فى فى مصر بين الدولة الدينية والمدنية مجلة أكتوبر القاهرة، ١٩٩٢) ص ٢٥ — ٤١ ١٩٩٢/١/١٩

تعرف فى التاريخ الأوربى الحديث باسم العداء للإكليروس ثم يضيف (إن المسيحيين بالنسبة للعلمانيين ليسوا أكثر من ورقه تستخدم للإثارة لحساب المرتدين الكفار من اللادينيين)[1].

لقد تفنن مدعو حماية الأقليات فى ابتداع الشبهات فهم يلقون فى روع المسيحيين أن حقوقهم فى المواطنة لا يمكن ضمانها فى ظل الحكم الإسلامى وهذا قول باطل وزعم مردود عليه بتعامل الرسول ﷺ مع جميع الاقليات غير الإسلامية فى مجتمعه ولقد تعامل مع اليهود والمشركين وهم أشد الناس عداوة ولم يكرههم على أن يدخلوا فى الإسلام بل لهم حرية الاعتقاد والتدين وأعطى لهم عهد الأمان فلليهود – المدينة – ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

ثم إنه ﷺ تزوج مارية القبطية واستوصى بأقباط مصر خيرا فإن لهم عهدا ورحما كما أنه قد قال ﷺ (من آذى ذميا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامه».

ونحن نعلم جميعا كيف قضى عمر بن الخطاب للقبطى ضد ابن عمرو بن العاص قائلا له اضرب ابن الاكرمين وقال لعمرو «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار»[2].

وإذا سقطت شبهة العلمانيين السابقة يسارعون بالاضافة (كلا إن حقوق الاقليات فى المشاركة السياسة والاجتماعية لا يمكن ضمانها إلا فى

---

(١) د/ محمد يحى يحى ورقة ثقافية فى الرد على العلمانيين ص ٤١، ص ٦٠، ٦٢، الزهراء للإعلام العربى

(٢) الشيخ صلاح أبو اسماعيل اتقوا الله فى مقدساتنا ولا تلعبوا بالنار جريدة الاحرار – القاهرة ٢٠/٤/١٩٨٧

ظل نظم علمانية ، وهو قول عجيب وغريب والدليل على ذلك أن النظم الغربية العلمانية (الوضعية) لم تنصف أبدا الأقليات العرقية أو الدينية ولنتأمل فى وضع الزنوج فى أمريكا ووضع المسلمين فى الدول الشيوعية قبل سقوطها . . ولننظر فى وضع الايرلنديين فى بريطانيا ولنمعن النظر فى وضع الأقليات فى بورما والهند والفلبين[١] .

وهنا يأتى السادة الوكلاء من العلمانيين إلى حجتهم الأخيرة فيدعون أنه لا يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية أو الحكم بما أنزل الله لأن هذا يمثل مساسا بحقوق هـــذه الأقليات فى المواطنة والمساواة فى الحقوق والواجبات ، ولأن هؤلاء الوكلاء حريصون على الإسلام حرص إخوة يوسف على يوسف فإنهم يخشون أن ترفض هذه الإقليات تطبيق الشريعة فيشير هذا كثيرا من الفتن والاضطرابات ياله من حرص ويالها من طيبة قلب !! ولكنه قلب أسود يحقد على الإسلام .

وهنا سنفترض حسن نية السادة الوكلاء أو المفوضين — رغم عدم تأكدنا من ذلك ونسألهم ، هل تتخلى الأغلبية عن هويتها ودينها ومقدساتها طلبا لمرضاة الأقلية ؟

أليس هذا نوعاً من الاستبداد ؟ :

ثم هل تقبل الديمقراطية التى تتشدقون بها هذا الاستبداد ؟ ما رأيكم فى لو أن الأقلية المسلمة فى أمريكا أو حتى فى الفلبين أو الهند طالبت الأحزاب الحاكمة بالتخلى عن برامجها لتطبيق الحل الإسلامى ؟

أجيبونا يرحمكم الله قطعا لن يجيبونا :

---

(١) مجلة منبر الشرق السنة الأول سبتمبر ١٩٩٢م ص ٦٩ مقال د/ محمد مجدى قرقر

نعود فنسأل ما هو أقصى ما تطالب به الأقليات المسلمة فى هذه المجتمعات ؟ ربما يطالبون بتأمين حقوقهم وأن يعيشوا وسط هؤلاء آمنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

ربما يطالبون بالسماح لهم بتأدية الفرائض ، أو حتى خروج صوت الآذان لخارج المسجد ولكن حتى هذا الطلب الأخير سيرفضونه ، ولكن لماذا نسأل وتفترض ونجيب ؟

لماذا لا ننظر للواقع ؟ هل يستطيع المسلم الأمريكى مثلا أن يتزوج أكثر من واحدة؟ ، قطعا لا يستطيع لأن قانونهم المسيحى أو الوضعى يحرم عليه ذلك ، فى المقابل نجد أن الشريعة الإسلامية تمكن لهم أن يطبقوا شرعهم فى مسائل الأحوال الشخصية فيما بينهم نعود فنسأل ، هل يستطيع المسلم الامريكى أن يطالب الحاكم الامريكية بتطبيق قواعد الميراث الإسلامية ؟ ثم اذا طلق المسلم الأمريكى زوجته هل يعطيها النفقة الشرعية أم أنه سيضطر لأن يعطيها نصف أمواله عند الطلاق احتراما للقانون الامريكى ؟ ورغم أن السادة الوكلاء حماة الأقليات مفتونون بالغرب إلا أنهم فى هذه النقطة لا يفتنون ويحرضون الاقليات على الاعتراض على تطبيق شريعة الأغلبية ، أليس هذا نوعا من الاستبداد ؟

وما زال حماة الأقليات يشككون ، اذن فلنسوق لهم شهادة بعض روادهم من المستشرقين لعلهم يصدقون يقول المستشرق دوجوافار (إن من أسباب سقوط الدولة العثمانية هو مبالغتها فى إعطاء الحرية المذهبية للامم المسيحية التى خضعت لها مما ساعدها على الانفصال) .

ويقول بطريرك أنطاكية واسمه ماركوس (أدام الله دولة الترك خالدة إلى الابد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالاديان سواء أكان رعاياهم مسيحيين أو يهودا أو سامره)[١] .

---

(١) د/محمد صلاح الصاوى قضية تطبيق الشريعة بين المبدأ ودعاوى الخصوم بيت الحكمة ص ٨٣ — ١٠٣

(إن تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات ذات الاغلبيات المسلمة: هو — أيضا — تطبيق واعمال لمبدأ يزعم العلمانيون أنهم من أشد أنصاره حماسا ، وهو (الديمقراطية الليبرالية) واذا كانت (الديمقراطية) هي حكم الشعب للشعب بالشعب ، فإن إرادة الأغلبية أن تحكم بلادها بشريعتها الاسلامية معناها اعمال لمبدأ تنفيذ إرادة الأغلبية في النظام الديمقراطي فهل يرى العلمانيون أن الديمقراطية تعني حق الاقلية في تعطيل والغاء إرادة الأغلبيه ؟؟ !! وهل هذه « ديمقراطية » جديدة ابتدعوها لمواجهة الاسلام والمسلمين ؟ أم أن القضية برمتها لاتعدو نفاق العلمانيين ، الذين مردوا على النفاق[1] !

ويضيف الدكتور محمد عمارة حجة أخرى فيقول :

إن احتكام المجتمع ذى الأغلبية الاسلامية إلى المنهاج الاسلامي في شؤنه الحياتية فضلا عن انه اعمال (لحقوق الانسان ولمبادىء الديمقراطية فإنه ليس على حساب الأقليات غير المسلمة وليس فيه استبعاد ولا انتقاص لعقائدها وشرائعها الدينية ، إن الذي يوجد في المجتمعات ذات الاغلبية المسلمة هي أقليات نصرانية — والنصرانية ليس فيهـا شريعة للدولة ولا قانون مدني ، لأنها رسالة روحية ، لخلاص الروح وهمها هو مملكة السماء ، ودعوتها ، أن دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله وكل العلمانيين — في الشرق والغرب وفي الشمال والجنوب — يدينون الكنيسة الغربية ويلعنونها عندما خرجت عن هذه القاعدة وهذا المنهاج لحكمت الدولة وتدخلت في شئون الاجتماع ، بل انهم يريدون أن يجعلوا الاسلام مسيحية ليدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله فاذا ثبت لهم أن الاسلام دين ودولة عقيدة وشريعة وإن اسلامية السياسة والعمران فريضة من فرائضة إلالهيـة . ذهب بهم النفاق إلى تصوير حاكمية الشريعة الاسلامية وكأنهـا عدوان على النصرانيه — التي يعلمون ويعلنون . .

---

(١) الاسلام والسياسة د/ محمد عمارة ص ١٩٠

بل ويفاخرون بأنها دين لا دولة ويريدون من الإسلام الاقتداء بها فى هذا حتى ولو على حساب طبيعته !! . إن دولة الإسـلام ليست بديلا لدولة النصرانية ..

والقانون الإسلامى ليس بديلا لقانون نصرانى .. وإنما هما البديل للعلمانية .. والعلمانية التى نريد اقتلاعها من بلادنا ، ليست عقيدة نصرانية من عقائد كنائسنا الشرقية ، حتى يكون فى هذا الاقتلاع عدوان على الأقليات غير المسلمة فى بلادنا وانتقاص من حقوقها فى الاحتكام إلى عقيدتها وشريعتها . . فالعلمانية وافد غربى فى ركاب الغزوة الاستعمارية — التى جاءت تهزنا جميعاً — أقلية وأغلبية — فهى أثر من آثار الاستعمار . وتحرير مؤسساتنا الحقوقية والقانونية والتشريعية والقضائية منها ، هو مهمة من مهام ثورتنا الوطنية وواجب من واجبات حركة تحررنا الوطنى أى أنه واجب وطنى على الجميع الأقلية والأغلبية . . بل إن هذه العلمانية ... خصم تاريخى للمسيحية الغربية ؟ ! فهل فى اقتلاعها وإحلال شريعة الشرق الممثلة لعقيدة الأغلبية والممثلة لعادات وأعراق وتقاليد ومثل وقيم الأمة كلها — أقليتها وأغلبيتها — هل فى ذلك أى انتقاص من حقوق الأقلية ؟ ! وهل يمثل « التحرر الفكرى » عدواناً على الوطن المسيحى ؟ ! أم أنه نفاق العلمانيين .. الذين مردوا على النفاق[1] .

والبابا شنوده فى موقفه المعلن هذا عبر عن كل الذى نريد أن نقوله قال شنوده [إن غير المسلمين لم ينعموا بحقوقهم كاملة إلا فى العصور التى ازدهر فيها الحكم بالشريعة الإسلامية] إن مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن وتطبقها علينا ونحن ليس عندنا ما فى الإسلام من قوانين مفصلة

---

(١) د/ محمد عمارة الإسلام والسياسة ص ١٩١ — ١٩٢ .

فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة ولا نرضى بقوانين الإسلام . ![1]

وقد برهن الأنبا شنوده على ما ذكره بقوله [كان عمر يقضى بين على ابن أبى طالب ويهودى فقال عمر إجلس بجانب خصمك يا أبا الحسن حتى ننظر فى القضية فعرف الغضب فى وجه على فقال عمر إنها المساواة يا أبا الحسن بين الخصمين فى مجلس القضاء فقال على ما غضبت لتحقيق المساواة وإنما لانعدامها فقال عمر وكيف ذلك فقال على بن أبى طالب دعوتنى بالكنية وقلت يا أبا الحسن والكنية تكريم وناديت الخصم بالإسم المجرد فلم تسو بينى وبينه حين أعطيتنى من التكريم ما لم تعط خصمى) والفضل ما رددته السنة من غير ملتنا[2] .

نعم لقد عبر البابا فى هذا الموقف المعلن عن كل ما نريد أن نقوله ، نقضا لكل شبهات العلمانيين فى قضية الأقليات ؟ !

والأنبا يوحنا قلته — وهو كاثوليكى — مصرى قال أوافق تماما على أن أكون مصريا . . مسيحيا تحت حضارة إسلامية . . بل أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية . تعلمت أن النبى عليه الصلاة والسلام ، سمح لمسيحى اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة .. فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى . . والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض . . فكلنا مسلمون حضارة وثقافة ، وإنه ليشرفنى وأفتخر أنى مسيحى عربى ، أعيش فى حضارة

---

(١) الأهرام ١٩٨٥/٣/٦ نقلا عن د/ محمد عمارة ص ٢٠٤ الإسلام والسياسة .

(٢) نقلا عن منبر الشرق مقال د/ مجدى قرقر ص ٧٠ — ٧١ .

إسلامية . . وفى بلد إسلامى . . وأسام وأبنى مع جميع المواطنين ، هذه الحضارة الرائعة ! ...

فى ضوء الحقائق التى قدمناها . . نفهم معنى ومغزى هذه الكلمات المعبرة عن عقل — العقلاء ، من إخـــواننا المسيحيين وهى حقائق . . وكلمات لا قيام معها ولا بعدها لشبهات العلمانيين ![1] .

---

(١) د/ محمد عمارة الإسلام والسياسة ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

الخاتمـــة

وبعـــد :

إذن ما زعمه العلمانيون من أن أمة الإسلام لاتصل إلى مصاف الأمم المتقدمة إلا بعد أن تفصل الدين عن الدولة هو زعم باطل تهاوى أمام الحقائق الإسلامية والردود المنطقية وهذا الزعم إن كان ينطبق على الديانات الأخرى فى إعطائها ما لقيصر لقيصر وما لله لله فإنه لاينطبق بحال على تصور الإسلام فى تشريعاته ومبادئه فى الجمع بين الدين والدولة والأخلاق والسياسة والعبادة والجهاد وصدق الله ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين[1] .

والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله .

د/ شوقى إبراهيم على عبد الله
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين ـــ القاهرة جامعة الأزهر

---

(١) النحل ٨٩ .

أهم المراجع التى أعتمد عليها الباحث

١ - القرآن الكريم

٢ - صحيح مسلم

٣ - أثر العلم فى المجتمع براندرسل ترجمة د/تمام حسان

٤ - أسس الفلسفة د. توفيق الطويل

٥ - أساليب الغزو الفكرى د/على جريشة

٦ - الله فى الفلسفة الحديثة ترجمة د/ فؤاد كامل

٧ - الدين د/محمد عبد الله دراز

٨ - الأمير ميكيافليلى تعريب خيرى حماد

٩ - الدين والمجتمع د/أديب صعب

١٠ - الأنظمة السياسية المعاصرة د/يحى الجمل

١١ - الاسلام يتحدى وحد الدين خان

١٢ - الاسلام السياسى المستشار محمد سعيد العشماوى

١٣ - الاسلام والسياسة د/محمد عمارة

١٤ - الاسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة د /عبد العظيم المطعنى .

١٥ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة د /على جريشة ط دار الوفاء

١٦ - بينات الحل الاسلامى د/يوسف القرضاوى

١٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة د/يوسف كرم

١٨ — تهافت العالمانية د/صلاح الصاوى

١٩ — تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة الأستاذ أنور الجندى .

٢٠ — إتجاهات هدامة فى الفكر العربى د/محمد محمد حسنين

٢١ — التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا د/عبد الحميد البطريق وآخر

٢٢ — حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب د/يحيى هاشم

٢٣ — حكمة الغرب برتراندرسل ترجمة د/فؤاد زكريا

٢٤ — حرية الفكر د/عاصم أحمد

٢٥ — الحقيقة الغائبة د/فرج فودة

٢٦ — سقوط العلمانية الأستاذ أنو الجندى

٢٧ — الاشباه لابن نجيم

٢٨ — الشريعة الإسلامية سلسلة يصدرها إتحاد طلاب جامعة المنصورة .

٢٩ — الصحوة الاسلامية فى ميزان العقل د/فؤاد زكريا

٣٠ — العلمانية د/نصر عبد الرحمن الحوالى ط مكة المكرمة

٣١ — العلمانية د/عبد العظيم المطعنى

٣٢ — العلمانية النشأة والأثر زكريا فاقد

٣٣ — العروبة والعلمانية - جوزيف مغيزل

٣٤ — الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/محمد البهى .

٣٥ — الفلسفة الاغريقية د/محمد غلاب

٣٦ — فصل الدين عن الدولة اسماعيل الكيلانى

٣٧ — قضية تطبيق الشريعة بين المبدأ ودعاوى الخصوم د / صلاح الصاوى .

٣٨ — قضية الحضارة ول ديورانت .

٣٩ — قذائف الحق الشيخ محمد الغزالى .

٤٠ — قصة الاضطهاد الدينى د /توفيق الطويل .

٤١ — محاضرات فى النصرانية الشيخ محمد أبو زهرة .

٤٢ — المسامرة بشرح المسايرة لابن شرف المقدسى تحقيق الأستاذ محمد محي عبد الحميد ،

٤٣ — ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين أبو الحسن الندوى .

٤٤ — المورد القريب قاموس عربى إنجليزى - منير البعلبكى سنة ١٩٨٣م

٤٥ — مجمع اللغة العربيه - المعجم الوسيط حـ ٢ سنة ١٩٦١ م .

٤٦ — معجم ويتيسر ترجمته د/السيد فرج .

٤٧ — مذاهب فكرية معاصرة الأستاذ محمد قطب .

٤٨ — مذاهب الفكر الحر إلى العلمنة صفر دونوروا ترجمة د/عاطف على .

٤٩ — المنهزمون . الأستاذ يوسف العظم .

٥٠ — المذاهب والأفكار المعاصرة د/ محمد الحسن .

٥١ — المدخل الفقهى العام الشيخ مصطفى الزرقا .

٥٢ — من روائع حضارتنا . للدكتور مصطفى السباعى .

٥٣ — ورقة ثقافية فى الرد على العلمانيين د/ محمد يحى .

٥٤ — ورقة ثقافية حتى لا تظل الشريعة نصا شكليا د / على حسنين الزهراء للإعلام العربى .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

والله ولى التوفيق

دكتور شوقى إبراهيم على عبد الله

أستاذ مساعد بقسم العقيدة

بكلية أصول الدين بالقاهرة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه

رقم الايداع بدار الكتب

٣٠٩٨ / ١٩٩٢م

I.S.B.N. — 977—00—3060—0

٢٨ شعبان ١٤١٢ هـ — ٣ مارس ١٩٩٢ م